أخي الحبيب

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ذي العز المجيد، والبطش الشديد، المبدأ المعيد، الفعال لما يريد، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد،
أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا كفئ ولا عدل ولا ند ولا نديد.
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه) وسلم تسليما كثيرا.
أما بعد أيها الناس اتقوا الله حق التقوى.
أيها الأخوة في الله:
استأذنكم في حديث خاص إلى أخ لي بينكم قد أراه في كل صف من صفوفكم، قد أراه بين كل اثنين منكم، أخ لي لم يسلم من أخطاء سلوكية وكلنا خطاء، لم ينج من تقصير بالعبادة وكلنا مقصر، ربما رأيته حليق اللحية طويل الثوب، بل ربما أسر ذنوبا أخرى ونحن المذنبون أبناء المذنبين.
أي نعم أريد أن أتحدث إليك أنت أخي حديثاً أخصك به، فهل تفتح لي أبوب قلبك الطيب، ونوافذ ذهنك النير، فو الله الذي لا إله غيره إني لأحبك.
أحبك حبا يجعلني أشعر بالزهو كلما رأيتك تمشي خطوة إلى الأمام، وأشعر والله بالحسرة إذا رأيتك تراوحُ مكانك، أو تتقهقرُ ورائك، أحدثك حديثا أسكب روحي في كلماته، وأمزق قلبي في عبارته، إنه أخي حديث القلبِ إلى القلب:
حديث الروحِ للأرواحِ يسري.....وتدركه القلوب بلا عنائي

أخي وحبيبي، هل تظنُ أن أخطائنا أمرا تفردنا به ولم نسبق إليه ؟
كلا فما كنا في يوم ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون، ولكن نحن بشر معرقون في الخطيئة، مذنبون يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم، وكل من نرى من عباد الله الصالحين لهم ذنوب وخطايا.
قال ابنُ مسعود لأصحابه وتلاميذه وقد تبعوه:
(لو علمتم بذنوبي لرجمتموني بالحجارة).
لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم.
أي والله أخي لقد أحرقتنا الذنوب وآلمتنا المعاصي ولكن أيها الحبيب المحب أرعني سمعك يا رعاك الله:
إن هذه الخطايا ما سلمنا منها ولن نسلم.
ولكن الخطر أن تسمح للشيطان أن يستثمر ذنبك، ويرابي في خطيئتك، أتدري كيف ذلك؟
يلقي في روعك أن هذه الذنوب خندقا يحاصرك فيه، لا تستطيع الخروج منه.
يلقي في روعك أن هذه الذنوب تسلبك أهلية العمل لهذا الدين أو الاهتمام به.
ولا يزال يوحي إليك دع أمر الدين والدعوة لأصحاب اللحى الطويلة والثياب القصيرة.
وهكذا يضخم هذا الوهم في نفسك حتى يشعرك أنك فئة والمتدينون فئة أخرى.

وهذه يا أخي حيلة إبليسية ينبغي أن يكون عقلك أكبر وأوعى من أن تمرر عليه.
فأنت يا أخي متدين من المتدينين.
أنت تتعبد لله بأعظم عبادة تعبد بها بشر لله، أنت تتعبد لله بالتوحيد.
أنت الذي حملك إيمانك فطهرت أطرافك بالوضوء وعظمت إلهك بالركوع وخضعت له بالسجود.
أنت أخي صاحب الفم المعطر بذكر الله ودعائه، والقلب المنور بتعظيم الله وإجلاله.
فهنيئا لك توحيدك، وهنيئا لك إيمانك.
إنك يا أخي صاحب قضية، أنت أكبر من أن تكون قضيتك فريق كروي يفوز أو يخسر.
أنت أكبر من أن تنتهي آمالك عند زوجة وبيت وولد.
أنت أكبر من تدور همومك حول شريط غنائي أو سفر للخارج.
أنت أخي أكبر من أن تدور همومك حول المتعة والأكل.
فذلك ليس شأنك، هذا شأن غيرك ممن قال الله فيهم:
)وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ)(محمد:12)
أي أخي، أنت من تعيش لقضية أخطر وأكبر، إنها قضية هذا الدين الذي تتعبد الله به، هذا الدين الذي هو سبب لوجودك في هذه الدنيا، وقدومك إلى هذا الكون:
)وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذريات:56)

وإذن لي أن أذكرك مرة أخرى أن تقصيري وإياك في طاعة ربنا، أو خطأي وإياك في سلوكنا لا يحلننا أبدا من هذه المسؤولية الكبرى، ولا يعفينا أبدا من هذه القضية الخطيرة.
أنظر يا رعاك الله إلى هذين الموقفين، وأرجو أن تنظر إليهما بمجهر بصيرتك نظرة فاحصة.
هذا الصحابي الجليل كعب بن مالك :
أذنب ذنبا وتخلف عن الخروج مع المسلمين على غزوة تبوك، وعندما عاد المسلمون عوتب على خطئه، بل عوقب وهجر فلم يعد أحد يكلمه فتغيرت عليه الأرض فما هي بالأرض التي يعرف.
وتغير عليه الناس فما هم بالناس الذي كان يعرف، ذلك جعل كعب رضي الله عنه ينظر في لهفة وقد تنكرت له الأرض والناس فهو يلتمس حركة من بين شفة ، أو نظرة يحيى بها الأمل.
بينما هو كذلك طريدا شريدا لا يلقي إليه مخلوق من قومه بكلمة أو يحييه بابتسامة أو يواسيه بنظرة وهو الشاب الجلد الموفور الحماس، بينما هو كذلك إذا به يتلقى كتابا ممن ؟
من ملك غسان، الملوك يراسلونه ؟ نعم.
وفض الرسالة فإذا فيها الكتاب التالي: (أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم- قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار مهانة فالحق بنا نواسيك).

الملوك يطلبونه أن يكون نديمهم وجليسهم عجبا.
أنظر يا رعاك الله، إن هذا الذنب وهذا العقاب لم يحلل كعبا من ولائه لدينه، لم يحلله من ولائه لعقيدته، لم يحلله من قضيته الكبرى، لقد نظر إلى هذا الكتاب على أنه جزء من الابتلاء. فحمل الكتاب ثم أوقد التنور وقال:
هذا والله من البلاء، فأحرق الكتاب في التنور وبقي يعاني مرارة الهجمة وألم القطيعة.

ثم أنظر أخرى إلى أبي محجن الثقفي رضي الله عنه:
رجل أبتلي بشرب الخمر فأدمنها ولم يستطع التخلص منها فكان يجاء به فيجلد، وفي معركة القادسية كان هذا الشارب الخمر جنديا يقاتل، ولم تكن خطيئته قيدا يصده عن الجهاد.
ويشرب الخمر وهو في نفير الجهاد فيؤتى به إلى سعد أبن أبي قاص رضي الله عنه، فيأمر أن يجعل القيد في رجله ويحبس، ويحرم من فرصة المشاركة في المعركة.
أهذا عقاب المخطئين؟ نعم.
هكذا يعاقب المخطئ ما دام قلبه يستشعر الولاء للدين، عوقب بأن تفوت عليه فرصة الاشتراك في القتال.
وكانت تجربة قاسية آلمت أبا محجن، آلمته أشد الألم حتى إذا سمع صليل السيوف ووقع الرماح وهزيم الخيل جعلت نفسه تجيش حسرات وجعل يُنشد:
كفى حزنا أن تلتقي الخيل بالقنى.....وأترك مشدودا إلي وثاقي
إذا قمت عناني الحديد وغلقت.....مصارع دوني قد تصم المنادي.
ألم وحسرة يشعر بها السكير شارب الخمر الذي لا يحول شربه الخمر ولائه لدينه.
وكان سعد رضي الله عنه قد أصابته القروح فلم يستطع الاشتراك في المعركة.
دعا أبو محجن زوجة سعد وقال لها:
يا سلمى فكي وثاقي وأعطيني فرس سعد البلقاء أقاتل عليها.
ووالله الذي لا إله إلا هو لأن أنجاني الله لأعودن حتى أضع رجلي في القيد، وإن أنا قتلت استرحتم مني.
فأشفقت عليه ورحمته وحلت قيده ,أعطته الفرس، فركبها وأخذ رمح سعد فأخذ يجول بين الكتائب، فلا يفر على كتيبة إلا كسرها، ولا على جمع إلا فرقه وسعد ينظر بعين العجب ويقول:
الضرب ضرب أبي محجن، والكر كر البلقاء، وأبو محجن في القيد.
حتى إذا أنتهي النهار عاد أبو محجن رضي الله عنه وجعل رجليه في القيد، فلم تحتمل سلمى رضي الله عنها هذا الموقف، وذهبت إلى سعد تخبره الخبر، فما ملك سعد نفسه إلا أن قام فحل قيوده بيديه الكريمتين.
لم يملك سعد خال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نفسه إلا أن قام إلى هذا الشارب للخمر يحل قيوده بيديه ويقول:
والله لا أجلدك على الخمر أبدا.

فقال أبو محجن: وأنا والله الذي لا إله إلا هو لا أشرب الخمر بعد اليوم أبدا، أما إني كنت أشربها يوم كنت أطهر بالجلد، أما الآن فلا.
أخي أشعر نفسك هذا الموقف ثم أعلم أن الخطايا ليست عذرا للتحلل من الولاء للدين، ولا من العمل له، ولا من نصرته، ولا من الغيرة عليه. ولولا ذلك لما أنتصر للدين منتصر ولما قام للدين قائم.

أيها الحبيب المحب:
إن الولاء للدين والغيرة عليه مسؤولية المسلم من حيث هو مسلم مهما كان عليه من تقصير، ومهما قارف من أثم مادام أن له بهذا الدين سبب واصل، وكل مسلم من المسلمين يتحمل مسئوليته في تأييد الدين ونصره:
) فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (لأعراف: 157).

هل تذكرت أخي أنك جزء من هذه الأمة التي ينبغي أن تكون في المقدمة في عصر تتسابق فيه الأمم لصنع المستقبل، عصرا ينبغي أن نقتحمه متحدين فهل فكرت في إسهام حقيقي منك في ذلك ؟
هل تذكرت أخي أن دينك هذا الذي تدين الله به مستهدفا بعداء مرير وكيد طويل، واقرأ إن شئت عن قادة الغرب ماذا يقولون لتقف على طرف من هذا العداء. فهل فكرت وإياك في المواجهة ؟
أخي هل آلمتك مجازر المسلمين ورخص دمائهم فإذا هي أرخص من ماء البحر واستعانة العالم بمدن المسلمين تباد ودولهم تبتلع في الوقت الذي تصاب فيه الدنيا بالأرق لرهينتين غربيتين.
فهل تحركت فينا أخي روح الجسد الواحد ؟

أيها الحبيب المحب:
هل فتشت في نفس، وفتشت في نفسك وتساءلنا كم تبلغ مساحة الإسلام من خارطة اهتماماتنا ؟
كم نبذل للدين ؟ كم نجهد للدين ؟ كم نهتم للدين ؟
هل هو قضية في حياتنا تتراء لنا ؟ أم قد رضينا بعبادات تحولت إلى عادات !
إننا يا أخي إذا لم ننفر لهذا الدين بكليتنا فإنا ورب البيت نخشى أن ينالنا ذاك الوعيد الشديد الذي تكاد السماوات يتـفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، أسمعه في قول ربك جل جلاله:
) إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (التوبة:39)

لنعد السؤال على أنفسنا كرة أخرى:
كم يعيش الدين في حياتنا ؟
كم يشغل من مساحة اهتماماتنا ؟
إئذن لي يا أخي، إئذن لي بكلام أكثر تفصيلا:

هل أخذت يوما كتاب الله فقرأته مستشعرا أن الله جل جلاله بكبريائه وعظمته يخاطبك ويتحدث إليك أنت العبد الصغير القليل ؟
أخي أي تكريم لك ذلك التكريم العلوي الجليل، أي رفعة لك يرفعها هذا التنزيل، أي مقام يتفضل به عليك خالقك الكريم!
أخي هل جلست يوما تربي نفسك بقراءة سيرة نبيك وحبيبك محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي تؤمن به، وتعبد الله بشرعه، الذي تحبه، والذي أحبك وأشتاق إلى لقائك، نعم نبيك اشتاق إلى لقائك وقال:
(وددت أنا رأينا إخوانا لنا، قالوا يا رسول الله أو لسنا إخوانك؟ قال لا أنتم أصحابي، أخواني الذين لم يأتوا بعد)، فهل اشتقت إلى نبي اشتاق إليك ؟
أخي هل نظرت وإياك إلى إخواننا الصالحين السابقين في الخيرات، الذين هم أكثر من جدا في الطاعة، نشاطا في الدعوة، وتوقيرا للسنة، هل نظرت إليه فكيف كانت نظرتك ؟
آما إني لا أتوقع منك أن تزدريهم، ولا أن تخذلهم، ولكن أحبهم تكن منهم فالمرء مع من أحب، وذلك يستلزم نصرتهم والذب عن أعراضهم والتعاون معهم.
أخي هل بذلت جهدا في الدعوة ولو كان قليلا ؟
هل أهديت لقريب أو زميل شريطا بعد أن سمعته ؟ أو كتيب بعد أن قرأته ؟
أخي، هذه المنكرات التي في مجتمعنا قد غص بها لم تنتشر في يوم وليلة، ولكن انتشرت لأن واحدا فعل وواحدا سكت. وهما شريكان في صنع ذلك المنكر.
فهل استشعرت وجوب مشاركتك في إزالة المنكر وعلمت أنه لابد أن تكون مساهم في الإنكار.
أخي إن في مجالسنا ومجتمعاتنا من يشوه على الناس مفاهيمهم ويلبس عليهم دينهم وينتقص أهل الصلاح منهم.
فهل وقفت منافحا ومدافعا بالتي هي أحسن لأنك تعلم أن السكوت حين إذ خيانة للمبدأ وجُبن في الدفاع عن الحق الذي تعتقده ؟
أخي لا تكتفي بالتعاطف مع الأخيار الأبرار وترى ذلك فضلا منك، بل يجب عليك أن تكون متعاطفا ومتعاونا أيضا لأنك تعلم أن ذلك من مسئوليتك.
أخي وحبيبي:
تذكر رعاك الله انك بإيمانك ذو نسبٍ عريق ضارب في عمق الزمن، وأنك واحد من ذلك الموكب المبارك الذي يقوده ذلك الركب الطيب، نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:
)إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء:92)
إن الظن بك أخي حينئذ أن تكون معتزا بإيمانك.
واثقا من نفسك، باذلا لدينك ما يمكنك بذله.
داعيا لمبدئك وقضيتك متميزا عن غيرك ممن لا يهتم بهذا كله. متميزا عن السلبيين الذين نقول لهم:
كفوا أذاكم عن الناس فهو صدقة منكم على أنفسكم.
قد اختارنا الله في دعوته.....وإنا سنمضي على سنته
فمنا الذين قضوا نحبهم.....ومنا الحفيظ على ذمته

أخي:
ستبيد جيوش الظلام..... ويشرق في الكون فجر جديد
فأطلق لروجك إشراقها.....ترى الفجر يرمقنا من بعيد

أخي، لا أريد أن أهون الذنوب فإنها إذا اجتمعت على الرجل أهلكته.
لا أريد أن أهون الخطايا فرب خطيئة كان عقابها طمس البصيرة.
ولكن أقول ينبغي أن لا تكون الذنوب خندقا يحاصرنا عن العمل لهذا الدين.
أخي الحبيب، هذا شجن من شجون أهاتف به قلبك الطيب، بنصح المحب، ومحبة الناصح.
وإن في إيمانك ونقاء أعماقك ما يقنع فيك كل مريد الخير لك.
والله أسأل أن يكلأك برعايته، ويحوطك بعنايته، ويهديك ويسددك.
واستغفر الله لي ولكم.

**** أخي الحبيب ****

أشد الناس عداوة

بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :
{ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا }

يا أمة الإسلام ...

هل أخزى .. وأردى .. وأخذل .. وأرذل .. من إخوة القردة والخنازير؛ من يهود عبدة الطاغوت ..

هل أخزى من عقيدتهم ؛ هذه العقيدة التي هي مجموعة من العفونات الفكرية ، والسوءات العقدية ، ثم أي نوع من البشر تصنعه هذه العقيدة ، عقيدة قوم فقدوا الأدب مع الله جل جلاله ، فقالوا لموسى أرنا الله جهرة ! وقالوا يد الله مغلولة !

هؤلاء الذين وصفوا الله بكل نقيصة ! فهو في عقيدة يهود - جل جلاله وتقدست أسمائه ونزه وتعالت عظمته - إله يجهل ويلعب ! ويصارع ويُـغلَب ! ويندم ويـبكي ! تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ..

فماذا تنتج هذه العقيدة ، التي يعتقدها من لا يرجون لله وقارا ! هل نظن بعد ذلك ، أن يكون عندهم احترام لبشر ؟! أو تقدير لإنسان ؟!

هؤلاء الذين عدوا إلى أنبياء الله ورسله وخيرته من خلقه فقتلوهم ! ومن لم يقتلوه بهتوه وكذبوا عليه ، حتى صوروا أنبياء الله على أنهم عصابة من السكارى والزناة والقتلة والغدارين !! هكذا وصفوا أنبياء الله ورسله ، وحاشا رسل الله ، وخيرته من خلقه ، والمصطفون من عبادة .

فمن كان هذا تعامله مع الأنبياء فهل ينتظر منه عطف على بشر ؟! أو حسن تعامل مع غيره من الناس !؟

هؤلاء الذين تربي فيهم عقيدتهم الأنانية واحتقار كل البشر من غيرهم . فهم في نظرهم شعب الله المختار ! وهم أبناء الله وأحبائه ! وأما غيرهم من البشر فهم حيوانات في صورة بشر ! الفرق بيـن اليهودي وغير اليهودي عندهم كالفرق بين الإنسان والحيوان ! هم الذين يرون غيرهم من البشر على أنهم خنازير برية ! ويعلمهم تلمودهم وتوراتهم تحريم الإحسان لغير اليهودي ! وأن الأممي إذا سقط في الحفرة فإن على اليهودي أن يسدها عليه بحجر ! وأن

مال غير اليهودي مباح لليهودي ! { ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل } . فهل يمكن بعد ذلك أن نجد في عيبتهم لغيرهم إلا الختر والغدر والمكر والخيانة { ولا تزال تطلع على خائنة منهم } .

هذه العقيدة المظلمة لمَ تؤهل ؟! إنها لا تؤهل إلا لغضب الله ، ولعنة الله ، فاستوجبت هذه الأمة اليهودية لعنة الله وغضبه { فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به } ، هذه اللعنة أحلها الله عليهم ، يتوارثها جيل إثر جيل ، يرثها الأحفاد عن الأجداد ، لما سبق في علم الله جل جلاله والذي لا يظلم أحدا أنهم فئة تجذرت الرذيلة في قلوبهم لا ينـزعون عنها ! ولا ينفكون منها ، فحلت عليهم اللعنة جيلا إثر جيل ، وأمة إثر أمة !

هذه العقيدة ؛ على ماذا تربي ؟! إنها لا تربي إلا على الحقد الأسود ، والحسد والعداوة لغيرهم ، ولذا ، فسيرتهم في التاريخ ظلام في ظلام ، وأيديهم القذرة ملأى بالإجرام .

لن نتحدث عن تاريخهم مع الإنسانية على سوءه وسوءاته ، ولكن يكفي أن نتحدث عن تاريخهم معنا نحن المسلمين لنعرف من هذه المسيرة المريرة ماذا يمكن أن يقدم مستقبل اليهود للمسلمين .

لقد بدأت عداوة يهود للدين منذ سطع نوره ، وأشرقت شمسه ، فشرق به يهود ، وأعلنوا عداوتهم له منذ أول يوم حقداً وحسداً من عند أنفسهم أن نزع الله النبوة منهم لما كانوا لها غير أهل ، وجعلها فينا نحن أمة محمد صلى الله عليه وسلم { أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الحكم والنبوة وآتيناهم ملكاً عظيماً } .

تحدث أمنا أم المؤمنين صفية بنت عدو الله حيي بن أخطب ، تحدث عن واقعة تبين هذه العداوة مبداها ومنشاها . قالت رضي الله عنها : ((لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء - انظر ؛ إلى قباء , أول مقدمه المدينة ! أي لم يصل إلى المدينة بعد ! - ذهب إليه أبي ، حيي ابن أخطب ، وعمي أبو ياسر ، ذهبا إليه مغلسين - عند الفجر - قالت : ثم رجعا عند غروب الشمس ، كالّين - كسلانين - , قالت : وكنت أحب بني أبويّ إليهما ، لا يراني أبي ولا يراني عمي مع أحد من أبنائهم إلا أقبلا عليّ وتركوا بنيهم – أي يحبها أبوها كأشد ما يحب الآباء الأبناء - قالت : فلقيتهما عند رجوعهما فأسرعت إليهما فما نظرا إليّ ! ولا أبها بي ! ورأيتهما مغمومين حزينين ، وسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي حيي : أهو هو ؟ أهو هو ؟ أمحمد النبي الذي ننتظره ؟ فقال حيي : نعم أي والله هو ، قال : فما عندك فيه ؟ قال : عداوته ما بقيت !!)) عداوته للنبوة منذ فجر بزوغها وهو يعلم أنه هو النبي الذي أرسله الله ، لكنه الحقد المتجذر في قلوب يهود لما رأوا نبيا يخرج من غير نسل إسرائيل ، حقد وحسد ، وقال ما عندي له إلا عداوته ما بقيت ، والنبي لا زال في قباء لم يصل

إلى المدينة بعد . الدعوة لا زالت خيوط شعاعها تبدوا أوائلها ، لا زالت في مبدأ شروقها ! إنهم يعرفون النبي - كما أخبر الله - كما يعرفون أبنائهم ، عرفوا رسالته ، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا ..

ثم بدأت العداوة التي أقسم عليها حيي ، عداوة وكيد من النوع اللائق بيهود من العداوة ؛ هي العداوة الكائدة ، العداوة الجبانة ، العداوة المخاتلة ، ليست العداوة المواجهة ! إنها أمة ذليلة , ضربت عليها الذلة ، وضربت عليها المسكنة ، فلا تجرأ على المواجهة أبداً ! { ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة } فعداوتهم أبداً ، من النوع اللائق بهم .

انظر إلى قفزات عبر القرون ، نسير فيها مع عداوة يهود لهذا الدين ولهذه الأمة ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم :
عقد النبي صلى الله عليه وسلم معهم المعاهدة أول وصوله المدينة على أن يواجهوا سوياً أي عدو يواجههم ، فماذا كانت النتيجة ؟! تربصوا برسول الله صلى الله عليه وسلم , حتى إذا عاش المسلمون أحرج ظرف في حياتهم ، وأظلم ساعة في تاريخهم ، يوم تحزبت الأحزاب ، وبلغت القلوب الحناجر ، وزلزل المسلمون زلزالاً شديداً ، في هذه اللحظة الحرجة أعلن اليهود خيانتهم ونقضوا عهدهم ، وخانوا مواعيدهم ومواثيقهم ، وطعنوا المسلمين من الخلف !! فخانت بنو قريظة ، خانت المسلمين في هذه اللحظة الحرجة وأتتهم من ظهرانيهم ، وكان المسلمين في أحرج ساعة ، وأحلك لحظة ، وأشد موقف . ثم سر قليلاً لترى أنهم هم الجبناء الختالون الختّارون ، يهتبلون فرصة قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ديارهم ، يوم قدم إلى بني النضير بموجب المعاهدة التي بينهم على النصرة ، والحلف الذي بينه وبينهم ، جاءهم في ديارهم يستعينهم أن يعينوه بدية رجلين يريد أن يديهما صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا جلس في دورهم وبين ظهرانيهم ، ماذا فعلوا ؟ هل وفوا بالعهد وقاموا بواجب النصرة وأكرموا الضيف في الدار ؟ كلا ! تحركت في قلوبهم عقارب الخيانة فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ؛ وقالوا : إنكم لن تجدوا محمد في ساعة خير من هذه الساعة , فما العمل إذن ؟! يصعد رجل بحجر على هذا السطح فيلقيه عليه فيقتله ونستريح منه . قاتل الله يهود ! أهذا الذي تتفتق عنه عقولهم في هذه الساعة بدلا من المعاونة ومن النصرة ، الخيانة والاغتيال ! وينتدب لهذه المهمة القذرة أحدهم ، ويعمد إلى رحى يحملها ويرقى السطح ليلقيه على النبي صلى الله عليه وسلم ! ولكن خبر السماء كان أسرع من رقيه ، فيتنـزل جبرائيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بغدرهم ومكيدتهم ، فيقوم النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً لأصحابه : انتظروا حتى أرجع إليكم ، ويظن اليهود أنه راجع إليهم ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم يذهب إلى المدينة ، ويتباطؤه أصحابه فيبحثون عنه ، فيعلمون أنه قد عاد إلى المدينة .

قبحت تلك الأنوف والمعاطس! التي لا يهديها تفكيرها إلا إلى غدر! ولا تدلها عقولها إلا إلى غدر !

حتى إذا دخل النبي صلى الله عليه وسلم خيبر فاتحاً ، أفلست كل حيل يهود وكل مكائد يهود ، فعادوا مرة أخرى إلى المخاتلة ! فعمدت امرأة منهم إلى شاة ، ذبحتها وطبختها وأشربتها السم حتى نقع فيها ! ثم سألت : ما أحب اللحم إلى محمد ؟ قيل : الذراع . فعمدت إلى الذراع فسقتها السم ! ثم دعت النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الوليمة ، وقدمت الشاة ، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها أكله ، ثم نطقت الذراع بأمر الله لتخبر رسول الله بمكيدة يهود ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأمرهم أن يكفوا عن أكل الشاة ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أكل منها أكلة ، ما زالت تعاوده حيناً إثر حين ، حتى إذا مرض صلى الله عليه وسلم في آخر عمره ، قال : ما زالت أكلة خيبر تعاودني ! ما زال السم الذي أكله صلى الله عليه وسلم يعاوده ويتدافع أثره في جسده ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فهذا أوان انقطاع أبهري ! هذا أوان انقطاع عروقه صلى الله عليه وسلم بأثر السم الذي سمه يهود ، فالمسلمون يحتسبون النبي صلى الله عليه وسلم شهيداً لقي الله إثر سم يهود ، المسلمون يحتسبون رسولهم صلى الله عليه وسلم شهيداً مات بكيد يهود والسم الذي سموه ؛ دفع الله عنه أثره حتى إذا أنهى رسالته للناس تحرك الأثر في البدن الشريف ، فانقطعت نياط عروق قلبه صلى الله عليه وسلم .

واستمرت مكائد يهود بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، لتتحرك في زمن الخليفة الراشد ، الناصح ، الطيب ، المحسن : عثمان بن عفان رضي الله عنه ، على يد ابن السوداء : عبدالله بن سبأ اليهودي ، الذي تنقل بين الكوفة والبصرة والشام ومصر , يزرع بذور الفتنة ويؤلب الناس على هذا الخليفة الطيب الراشد ، حتى نبتت فتنته وتألبت فئة خارجة خارجية عدت على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلته لتحدث في الأمة جرحاً ما التأم إلى اليوم ! وشقاً ما سُد إلى هذا التاريخ !

إنها المكيدة التي تدب في الخفاء ، إنها مكائد يهود ، من النوع الذي لا يحسنون غيره ، ولا يكفون عن ذلك ، فيمشي تاريخ المسلمين , تماشيه مكائد يهود ، فإذا ميمون ابن ديصان القداح يستنبت في الأمة مذهب الباطنية ، مذهب غلاة الرافضة الذي ظاهره الرفق وباطنه الكفر المحض ، يستنبت هذا المذهب دولتين في الأرض الإسلامية ، دولة في المغرب العربي ، ودولة في الأحساء ، دولة العبيديين المسماة بالفاطمية دولة يهودية ظاهرها الرفق وباطنها الكفر المحض ، بطشت بالمسلمين حتى إنهم أقاموا في تونس في مدينة المنستير داراً أسموها دار النحر ! قتلوا فيها في يوم واحد أربعة آلاف من علماء المسلمين وعبادهم وزهادهم ، بأي جريمة ؟! لأنهم ترضوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قال القائل :

وأحل دار النحر في أغلاله من كان ذا تقوى وذا إيمان

أما دولتهم في الأحساء فقد عدت على مكة ، فقتلت الحجاج في الحرم ، ورمت جثثهم في بئر زمزم ، حتى إذا سقطت الخلافة الإسلامية على يد المغول كان وزرائها وأعوانها وحاشيتها ، هم اليهود !

وحتى إذا قامت دولة الخلافة العثمانية كان سقوطها على يد اليهود ، يوم دخل يهود الدونمة في عقر الخلافة العثمانية ، وتسلقوا - وهم يتظاهرون بالإسلام - إلى أعلى المناصب فيها ، حتى دخل اليهودي التركي "قرّاصو" على السلطان عبد الحميد يطلب منه أن يمنح اليهود امتيازات في فلسطين ، وغضب السلطان وطرده ، وقال : اخرج أيها الخاسئ ! إن فلسطين أرض أخذت بالدماء ولا تباع بالذهب . وكان قد عرض عليه مائة مليون ليـرة ذهبية تدفع إلى الخزينة العثمانية ، ومنحة تقدر بخمسة ملايين ليرة ذهبية . طرد قرّاصو اليهودي من تركيا ففر إلى إيطاليا وأرسل من هناك برقية إلى السلطان عبد الحميد يقول : إنك قد طردتني ورفضت العرض الذي عرضته عليك ، وسوف تتحمل أنت ثمن ذلك ! وفعلاً , يصل اليهود إلى مركز تمكنوا منه من خلع السلطان عبد الحميد من الخلافة ، وكان الذي دخل عليه بقرار خلعه هو ذاك اليهودي المطرود قرّاصو ، يـبلغه بيده قرار الخلع والطرد !

ثم سر قليلاً ، إلى احتلال يهود لفلسطين عن طريق عصابات " الهاجانا " التي مكنت لها بريطانيا في فلسطين ، مكنت لها أشد ما يكون التمكين ، يوم جعلت لها معسكرات التدريب وأمدتها بالسلاح في الوقت الذي يقتل فيه المسلم إذا وجد عنده رصاصة فارغة ! واستغل يهود هذا التمكين فقاموا بمجازر وحشية ، كان منها مجزرة دير ياسين التي عدوا فيها على قرية صغيرة مسالمة ، عدوا عليها فقتلوا ثمانين ومائتي شخص من أهلها ! بقروا بطون الحبالى ، قتلوا الصبية والشيوخ ومثلوا بهم ، ثم ألقوهم في بئر في المدينة ، وجاء مندوب الصليب الأحمر ووقف ليشاهد المجزرة ، فلما أخرجت الجثث سقط مندوب الصليب الأحمر مغماً عليه ولم يستطع أن يعاين الجثث كلها ! حتى إذا قامت دولتهم اليهودية أقاموها من منطلق ديني عقائدي ، وليس مصادفة أن الدبابات التي دخلت سيناء ، تتقدمها دبابة كتب عليها آيات من التوراة !

هذه قفزات عبر القرون ، تبين شيئاً من مسيرة يهود ، معنا نحن المسلمين ..

أمتي ..

هل ترى بعد هذه المسيرة والمريرة من العداوة والكيد ، هل ترى أمة تعقل التاريخ أن هذه العداوة يمكن أن تخبو جذوتها ؟! أو تطفأ نارها ؟!

هل يمكن ؛ أن نتوقع يوماً يأتي بنهاية عداوة اليهود لنا ؟! هل يمكن أن ننتظر يوماً يأتي بنهاية عداوتنا لهم ؟! نحن المسلمين الذين نحمل ثأراً لنا عند يهود يوم سموا نبينا صلى الله عليه وسلم ، حتى قطع السم نياط قلبه .

هل ننسى نحن المسلمين عداوة يهود ، وقرآننا وكتاب ربنا بين أيدينا يعلن غضب الله على يهود ولعنته لهم في أول سورة من كتابه ، وفي ثاني سورة من كتابه ، وفي ثالث ورابع وخامس سورة من كتابة ، حتى كاد القرآن أن يكون عن بني إسرائيل ، وحتى وكأن القرآن أنزل ليحذر من بني إسرائيل ، يحذر من خيانتهم ، ويخبر بعداوتهم ، ويفضح للأمة تاريخهم .

هل ننسى نحن المسلمين خبر الله ربنا ، العالم بالضمائر ، المطلع على السرائر ، الذي قال لنا وأخبرنا بأعدى من يعادينا ، فقال : { لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود } .

هل ننسى نحن المسلمين عداوة اليهود ، وهذا تاريخهم كله معنا خيانة وغدر ، ومكيدة ومكر ، فما فائدتنا من عقولنا وعلومنا إن لم تعلمنا الأيام وتحنكنا التجارب !

هل ننسى نحن المسلمين عداوة يهود وهم الذين لا زالوا يمارسون عداوتهم علينا وامتهانهم لقداسة أمتنا باحتلالهم الأرض المقدسة التي باركها الله ؟! هل نسينا أنهم يقيمون على أرضنا في فلسطين ، دولة لهم أسموها إسرائيل ؟!

ألإسرائيل تعلوا راية *** في حمى القدس وضل الحرم

هل نسينا ؛ جرائمهم فيها ؟ ومذابحهم فيها ؟ هل نسينا ؛ تشريدهم ، وتقتيلهم لأهلها ؟

نساء فلسطين تكحلن بالأسى *** وفي بيت لحم قاصرات وقصروا
وليمون يافا يابس في غصونه *** وهل شجر في قبضة الظلم يزهر
ألا يا صلاح الدين ، هل لك عودة *** فإن جيوش الروم تنهى وتأمروا
يحاصرنا كالموت ألف خليفة *** ففي الشرق هولاكو وفي الغرب قيصر
تناديك من شوق مآذن مكة *** وبدر تنادي يا حبيبي وخيبر
رفاقك في الأغوار شدوا سروجهم *** وجندك في حطين صلوا وكبروا

فلسطين .. هذه التي عرفناها يوم فتحها محمد صلى الله عليه وسلم ، فتحها ليلة الإسراء ، وأم في مقدسها الأنبياء .

فلسطين .. عرفناها يوم دخلها عمر رضي الله عنه ، دخلها فاتحاً مطهرا ، عرفناها يوم ندى سماءها بلال بندائه ، وعمر بدعائه ..

فلسطين .. التي نعرفها كلها يوم طهرها صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، طهرها من رجس الصليبيين ، ودفع ثمناً لتطهيرها دماء المجاهدين ..

فلسطين .. التي نعرفها كلها يوم رفضت عصابات يهود ، وعافتهم ، وجاهدتهم ، فقامت فيها الحركات الجهادية بقيادة العلماء المجاهدين :

الشيخ عز الدين القسام ..

الشيخ المجاهد فرحان السعدي ، الذي شنق وهو في الخمسة والسبعين من عمره ..

المجاهد عبد القادر الحسيني الذي استشهد في القسطل ..

المجاهد الشيخ أمين الحسيني مفتي فلسطين ..

رحمهم الله .. هؤلاء ، وغيرهم من العلماء والمجاهدين ، الذين أعلنوا بجهادهم ، وكتبوا بدمائهم .. أن فلسطين ؛ ليست وطناً بلا شعب ! حتى تُعْطى لشعب بلا وطن !

فلسطين .. التي اشتريناها بأغلى ثمن وهو الدم !

دم من ؟!

دم الصحابة ! دم التابعين ! دم خيرة الله من المجاهدين ! وهذا الثمن لا يتنازل عنه بالمجان !

هذه فلسطين التي يجثم يهود بكل عدوانهم وجرائمهم ووحشيتهم وتاريخهم المخزي كله ، يجثمون على أرضها !

إنهم يهود ، بكل جرائمهم التي بدأت بمبعث محمد عليه الصلاة والسلام ، ولن تنتهي إلا بنـزول عيسى بن مريم عليه السلام ..

هؤلاء اليهود ؛ قد يمدون يد المصالحة ! قد يمدون يدهم القذرة للصلح مع الأمة ، وحينئذ فلتتذكر الأمة أن هذه اليد هي اليد الملوثة بالدماء ! الملأى بالخيانة !

إنها اليد التي حملت الحجر لتلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم !

واليد التي وضعت السم في طعام النبي صلى الله عليه وسلم !

واليد التي تسببت في قتل عثمان ابن عفان !

واليد التي قاتلت المسلمين باسم الفاطميـين !

واليد التي مدت قرار خلع الخلافة ، وإلغاء الخلافة ، لآخر خليفة للمسلمين !

اليد التي قتلت في دير ياسين ، وكفر قاسم ، ومدرسة بحر البقر ، وقتلت في سيناء ، وقتلت في الجولان ، وقتلت في لبنان !

هي هي اليد التي قد تُمد يوماً للمصالحة !

لنتذكر إذا مدوا يدهم للمصالحة أن فلسطين أرض لا يملك أي فلسطيني ، فضلاً عن غيره ، أن يتنازل عن قيد شبر منها ، فللمسلم في جزر المالديف ، وزنجبار ، حق فيها ، لأننا اشتريناها بدماء الصحابة ، ودماء التابعين ، ودماء جيوش صلاح الدين !

لنتذكر أن يهود إذا مدوا يدهم لمعاهدة صلح ؛ فإن الصلح الذي يريدونه إنما هو إعلان الهزيمة ، وإعلان الاستسلام لهم ، والاعتراف بأن لهم حقاً في أرض اغتصبوها !

إن السلام الذي يريده يهود ، هو ما يضمن لهم الهيمنة على المنطقة ، حتى يمتد نفوذهم بكل أشكاله : الدبلوماسي ، والثقافي ، والاقتصادي ، والسياحي ، يمتد إلى دول المنطقة كلها ! وهذا رأيناه واضحاً في دولة إسلامية عقدت معهم معاهدة سلام ، آسف ! معاهدة استسلام ! فامتدت هذه المعاهدة لتخرج ثماراً سميت التطبيع ! أخرج التطبيع ثماراً في المجال السياحي ، والاقتصادي ، والتعليمي ، وأثمر نشر الفساد ، ونشر المخدرات ، بل سرى ذلك إلى مناهج التعليم فحرفت في تلك الدولة الإسلامية مناهج التعليم لتتوافق مع بنود معاهدة الاستسلام ، فقلبت مناهج التعليم في تلك الدولة ، فوجدنا فيها أن يثرب مدينة يهودية ! وأظهر النبي صلى الله عليه وسلم بمظهر المعتدي المغتصب لديار اليهود في خيبر ، وعرضت المناهج الدراسية نصوصاً من التوراة والتلمود تزين باطل اليهود وتـخفي سوءاتهم ، ومحي اسم فلسطين من خرائط الجغرافيا !

كل ذلك إحدى ثمرات معاهدة سلام ، وعندما تقام معاهدة سلام أخرى فلا نأمن أن نسمع المطالبة بأن تتعاون التكنولوجيا الإسرائيلية مع اليد العاملة المصرية , مع رأس المال العربي ، في سبيل رفاهية المنطقة ! هذه الدعوة خرجت وأعلنت في كتاب : " عندما تسكت المدافع " !

هذا إذا تمت المعاهدة ! أما إذا رفضت ، فإن الذي سيرفضها اليهود ! إذا فشلت فلأن اليهود لم يقبلوا بها لأنها ليست على مستوى طموحاتهم ، وذلك أن إسرائيل لا تستمد قوتها من السلام ! ولكنها ككثير من الدول الكافرة مصدر قوتها أن الكل فيها يعمل بإخلاص لأمته ، أن الحاكم فيها سواء كان من الصقور ، أو من الحمائم ، وكلهم غربان !لا فرق بين شامير ، أو شمعون ، الكل في منطلقاته سواء ، والكل في أهدافه سواء ، وإن اختلفت مناورات اللعبة !لا هذا ولا ذاك يصل إلى الحكم إلا وطريقه للمجد والكرسي وإعادة الانتخاب أن يقدم أكثر لشعبه ، أما نحن فمصدر ضعفنا أن الحاكم هو قطب الرحى ، هو الثابت ! والكل متغير ! يضحي بدينه .. يضحي بعروبته .. بضحي بشعبه .. يضحي بأمته .. ليبقى له كرسيه ! ورأينا ذلك عياناً في صدام يوم دمر العراق ليبقى ماء وجهه ، ثم أخذ يوقع الشروط المملاة عليه بالجملة ليضل حاكماً ! ومن يرفض ذلك من شعبه فلن يعصمه إلا رؤوس الجبال أو مخيمات اللاجئين !

من هنا نعرف سر تعنت اليهود في رفض فكرة ، أو رفض مشروع سلام ، أو رفض فكرة الأرض مقابل السلام ، لأنهم حينئذ سيخسرون الأرض ولن يربحون السلام ..

أي سلام ؛ خير مما هم فيه ؟! أي سلام ، خير مما هم عليه الآن ؟! حيث تستقبل إسرائيل المهاجرين ، وتبني المستوطنات ، وتطور الأسلحة ، وتبني المفاعلات النووية !!!

كل ذلك في أمان ، لا أقول في أمان من الحرب ! ولكن في أمان من أن تتسلل الهجمات الفدائية عبر الحدود ، لأن هناك حراسة يقظة على تلك الحدود ، ينقلب اسمها بقدرة قادر في مؤتمرات القمة العربية لتسمى الصمود والتصدي ! وتأخذ على هذه الحراسة المكافآت الطائلة ، ولا يخسر اليهود مليما واحداً ، أو ملي متر واحداً .

إن إسرائيل لا تريد أن تركن إلى هؤلاء الحكام ، لأنها تعلم أنهم يمثلون أنفسهم ! أما الشعوب الإسلامية فإنها لن تقبل ولن ترضى أبداً ببقاء عدوهم آمناً في قطعة من أرضها ، فكيف إذا كان هذا العدو هم الأمة الملعونة ، إخوان القردة والخنازير ، وكيف إذا كانت هذه الأرض هي المسجد الأقصى مسرى المصطفى ، ومصلى الأنبياء ، والأرض التي باركها الله .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : { وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيد كثير منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين }

أيها الإخوة في الله ..

إن الذي ينبغي أن نعيه جيداً أن يهود مهما بلغ نفوذهم ، ومهما تنوع مكرهم وكيدهم ، وإن ملكوا أجهزة الإعلام ، وأزِمَّـة الاقتصاد ، ووصلوا إلى مراكز التأثير في الدول العظمى ، والتقت مصالحهم مع مصالح أعداء المسلمين من الصليـبيـين وغيرهم ، فإن ذلك لن يضرنا إلا إذا بقينا كما نحن ! لن يضرنا إذا عدنا إلى هويتنا ، لن يضرنا إذا أعدنا بناء أنفسنا ، أعدنا بناء الأسس التي انهارت في نفوس كثير من المسلمين ..

يوم انهار ، حاجز العداء النفسي ضد أعداء الله .. انهار ، حاجز النفرة ضد اليهود في نفوس المسلمين .. انهارت ، أسس من أسس الولاء والبراء ..

تدجنت الأمة وتهجنت ، فلقيت اليهود أمة غير الأمة التي وعدت بالهزيمة أمامهم ، غير الأمة التي نصرت بالرعب عليهم ..

إننا وإن أظلمت هذه الأيام ، بما نرى من ظهور دولة يهود ، فإن الذي ينبغي أن نعلمه أنه ليس من مسئوليتنا أن نتصالح معهم ، وليس من مسؤولية أمتنا أن تعترف لهم بما ليس لهم ، وما ليس من حقهم ، وأن جيلنا إذا عجز عن إخراج يهود فينبغي أن لا يحمل عارا آخر وهو الاستسلام ليهود ! ولتبقى هزيمة يهود ، وإخراجهم من أرض فلسطين ، مسؤولية تتوارثها الأجيال جيلاً إثر جيل .

وإننا ننتظر موعوداً صادقاً من نبينا صلى الله عليه وسلم : ((لتقاتلن اليهود ، حتى يقول الشجر والحجر : يا مؤمن ، يا عبد الله ، هذا يهودي ورائي فاقتله)) . يوم يحقق المؤمنون عبوديتهم لله عز وجل ، يسخر الله الكون كله له بشجره وحجره ، سيخرج جيل يقاتل يهود بعبوديته لله ، بأيدي متوضئة ونفوس متطهرة ، جيل يقاتلون اليهود فيقيض الله لهم الكون كله نصيراً لهم , والله ناصر لهم ومعين .

وإن من آيات نبوته صلى الله عليه وسلم ، ذلك الحديث الحسن الذي أخرجه البزار عن "نهيك ابن صريم" : ((كيف بكم إذا قاتلتم يهود على نهر الأردن , أنتم شرقيه وهم غربيه !)) . قال الراوي : ما كنت أدري ما الأردن يومئذ !
إن هذا الحديث يحمل بشرى نرجوا أن يكون منها أن إسرائيل لن تتمدد عن حجمها ذلك ، وأن تجمع اليهود في فلسطين إنما هو تجمع الخراف في حظيرة الجزار على أيدي العصبة المؤمنة ، وكيدهم وإن كادوا ، ومكرهم وإن مكروا ، سينتهي كما انتهى مكر إخوانهم في المدينة ، يوم انهار مكرهم أمام لقاء المسلمين ، فقذف الله الرعب في قلوبهم وأنزلهم من صياصيهم ، إنهم وإن كادوا ومكروا وملكوا من الإمكانيات ما ملكوا ، فإن ذلك سينتهي كله بمجرد عودتنا نحن إلى عقيدتنا وهويتنا وحقيقتنا { وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا } .

إنه عار على المسلمين أن تقوم دولة إسرائيل باسم الدين ، وأن يمتلأ الكنيست بالحاخامات والأحبار ورجال الدين اليهود ، وأن يقاتل اليهود باسم الدين ، ويحملوا في معاركهم أسفار التوراة ، ويكتبوا آياتها على الدبابات ، ثم لا يجدوا دولة تواجههم باسم الإسلام !!
إن هذا السلاح هو الذي بقي في أيدينا ، لنجربه بيـقين في قتال يهود ، وحينئذ يتحقق موعود رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اللهم أنزل لعناتك على يهود ، إخوان القردة والخنازير ، اللهم أقر أعين المسلمين بتحرير المسجد الأقصى ، وهزيمة يهود ، وإقامة دولة إسلامية ، لا اشتراكية ، ولا علمانية ، اللهم اجعل نساءهم ورجالهم وسلاحهم ومستعمراتهم غنيمة للمجاهدين في سبيلك .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ..

**** أشد الناس عداوة ****

أصحاب الأخدود

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله.
واشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته واهتدى بهداه.
اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع ومن دعاء لا يسمع.
اللهم إنا نسألك الهدى والسداد فأهدنا وسددنا.
أما بعد أيها الناس اتقوا الله حق التقوى.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
(والسماء ذات البروج، وشاهد ومشهود، قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، الذي له ملك السماوات والأرض، والله على كل شيء شهيد).
إن هذه الآيات تحملُ قصةَ أصحابِ الأخدود، هؤلاء اللذين فتنوا في دينِهم..
هؤلاء اللذين أحرقوا في خنادقِ النارِ مع نسائهم وأطفالِهم.
وما نقموا منهم إلا أن يأمنوا بالله العزيز الحميد.
وكان نكالاًدنيوياً بالغَ القسوة.
وجريمةً نكراء عندما يقادُ أولئك المؤمنون الأطهارِ إلى خنادقَ وحفر أضرمت فيها النار هم ونسائهم وأطفالهم ليلقوا فيها لا لشيء إلا لأنهم أمنوا بالله جل وعلا.
حتى تأتي المرأةُ معها طفلُها الرضيعُ تحملُه، حتى إذا أوقفت على شفيرِ الحفرةِ والنارُ تضطرمُ فيها تكعكعت، لا خوفاً من النار ولكن رحمةً بالطفل.
فيُنطقُ اللهُ الطفلَ الرضيع ليقولَ لها مؤيدا مثبتاً مصبرا:
يا أمه اصبري فأنك على الحق.
فتتقحم المرأةُ الضعيفةُ والطفل الرضيع تتحقحمان هذه النار.
إنه مشهدُ مريعُ وجريمةُ عظيمةٌ يقصُ القرآنُ خبرها ويخبر بشأنها فإذا هي قصةُ مليئةُ بالدروسُ مشحونة بالعبر فهل من مدكر؟
ولكنا نطوي عبرَها كلها ونعبرَها لنقف مع آيةٍ عظمى، آية عظمى تومض من خلال هذا العرض للقصة، إن هذه الآيات قد ذكرت تلك الفتنة العظيمةَ وذكرت تلك النهايةُ المروعةُ الأليمة لتلك الفئةُ المؤمنة، والتي ذهبت مع آلامها الفاجعة في تلك الحفرُ التي أضرمت فيها النار.
بينما لم يرد خبرُ في الآياتِ عن نهايةِ الظالمين اللذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات:
لم تذكرُ الآياتُ عقوبةُ دنيوية حلت بهم.
لم تذكر أن الأرض خسفت بهم.
ولا أن قارعة من السماءِ نزلتَ عليهم.
انتهاء عرضُ القصةِ بذكرِ مصيرِ المؤمنين وهم يُلقونَ في الأخدود.
والإعراض عن نهاية الظالمين الذين قارفوا تلك الجريمة فلم تُذكر عقوبتهم الدنيوية ولا الانتقام الأرضي منهم. فلما أغفل مصيرُ الظالمينَ ؟

أهكذا ينتهي الأمر، أهكذا تذهبُ الفئةُ المؤمنةُ مع آلامها واحتراقها بنسائِها وأطفالِها في حريق الأخدود؟
بينما تذهب الفئةُ الباغية الطاغية التي قارفت تلك الجريمة تذهبُ ناجية؟
هنا تبرزُ الحقيقةُ العظمى التي طالما أفادت فيها آياتُ الكتاب وأعادت، وكررت وأكدت وهي:
أن ما يجري في هذا الكون لا يجري في غفلةٍ من اللهِ جل وعلا، وإنما يجري في ملكِه.
ولذا جاء التعقيبُ بالغ الشفافية:
(وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السماوات والأرض).
فهذا الذي جرى كلِه جرى في ملكِه ليس بعيدا عن سطوتِه، وليسَ بعيدا عن قدرتِه إنما في ملكه:
(والله على كلِ شيء شهيد).
فهذا الذي جرى لم يجري في غفلةٍ من الله ولا في سهو من الله.
كلا... ولكن جرى والله على كل شيء شهيد، شهيدُ على ذلك مطلعُ عليه.
إذا فأين جزاء هؤلاء الظالمين ؟
كيف يقترفون ما قارفوا، ويجترمون ما اجترموا ثم يفلتون من العقوبة؟ يأتي الجوابُ، كلا لم يفلتوا.
إن مجال الجزاء ليس الأرضَ وحدَها.
وليسَ الحياةَ الدنيا وحدها، إن الخاتمةَ الحقيقةَ لم تجئ بعد، وإن الجزاءَ الحقيقيُ لم يجئ بعد.
وإن الذي جرى على الأرض ليسَ إلا الشطر الصغير الزهيد اليسير من القصة.
أما الشطرُ الأوفى والخاتمةُ الحقيقةُ والجزاء الحقيقي فهناك:
(إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق).
هولا الذين أحرقوا المؤمنين في الأخدود سيحرقون ولكن أين؟
أين ؟ في جهنم.
في جهنم، إن الذين أحرقوا المؤمنين في الدنيا سيحرقون ولكن في الآخرة.
وما أعظمَ الفرقَ بين حريق وحريق!
أين حريقُ الدنيا بنارٍ يوقدُها الخلق، من حريقِ الآخرةِ بنارٍ يوقدُها الخالق ؟
أين حريقُ الدنيا الذي ينتهي في لحظات، من حريقِ الآخرةِ الذي يمتدُ إلى آبادٍ لا يعلمُها إلا الله ؟
أين حريقُ الدنيا الذي عاقبتُه رضوانُ الله، من حريقِ الآخرةِ ومعهُ غضبُ الله ؟
هذا المعنى الضخم الذي ينبغي أن تشخصَ الأبصارُ إليه وهو الارتباطُ بالجزاء الأخروي رهبة ورغبة.
أما الدنيا فلو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربةَ ماء.
إن الدنيا هينةٌ على الله جل وعلا:
مر النبيُ (صلى الله عليه وسلم) وأصحابُه معه، مروا في طريقهم فإذا سباطة قوم، تلقى عليها النفايات، الفضلات، الجيف.

فإذا بالرسول (صلى الله عليه وسلم) ينفردُ عن أصحابه ويتجه صوب سباطة هؤلاء القوم ليأخذَ من القمامة الملاقاة عليها جيفة تيس مشوهِ الخلقةِ قد مات، مشوه الخلقة، صغير الأذن قد انكمشت أذنه.
فأمسك النبيُ (صلى الله عليه وسلم) بهذا التيس الميتَ فرفعه.
ثم أقام مزاداً علنياً ينادي على هذه الجيفة الميتة، فيقول مخاطبا أصحابه:
آيكم يحبُ أن يكونَ هذا له بدرهم ؟
من يشتري هذا التيس المشوه بدرهم؟
وعجب الصحابة من هذا المزاد على سلعة قيمتها الشرائية صفر.
ليس لها قيمة شرائية ولذا ألقيت مع الفضلات.
قالوا يا رسولَ الله، والله لقد هانَ هذا التيس على أهلهِ حتى ألقوه على هذه السباطة، لو كان حيا لما ساوى درها. لأنه مشوه. فكيف وهو ميت؟
لقد هان على أهله حتى ألقوه هنا، فكيف يزاد عليه بدرهم ؟
فألقاهُ النبي (صلى الله عليه وسلم) وهوت الجيفة على السباطة والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول:
لدنيا أهونُ على الله من هذا على أحدِكم.
إن الدنيا هينةُ على الله، ومن هوانها أنها أهونُ من هذه الجيفةُ التي ألقيتموها واستغربتم أن يزاد عليها ولو بدرهمٍ يسير. فقيمتها الشرائية صفر، ليس لها قيمة.
وإذا كانتِ الدنيا هينةٌ على اللهِ هذا الهوان، فإن اللهَ جلا جلاله لم يرضها جزاءً لأوليائِه.
وأيضا لم يجعلَ العذابُ فيها والعقوبة فيها هي الجزاءُ الوحيدُ لأعدائه.
كلا إن الدنيا أهونُ على الله، بل لولا أن يفتن الناس، لولا أن تصيبهم فتنة لجعل الله هذه الدنيا بحذافيرها وزينتها وبهجتها ومتاعها جعلها كلها للكافرين.
أستمع إلى هذه الآيات:
(ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون، وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين).
أما الدنيا فأهون على الله من أن يجعلها للمتقين جزاء، أو يجعل العذاب فيها فقط جزاء الكافرين.
كلا.. لولا أن تفتن قلوب الناس لأعطى الدنيا للكافرين، كل ذلك قليلُ وحقير وتافه:
(وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين).
ولكن قلةَ هذا المتاع وضآلته وتفاهته لا تظهرُ إلا إذا قورن بالعمرِ الأبديِ الخالدِ في الآخرة.
هناك تظهرُ قلةَ هذا المتاع.
ولذا لما ذكر اللهُ زهو الكافرين ومظاهر القوة التي يتمتعون بها، وتقلبَهم في البلاد واستيلائهم عليها، ذكر ذلك وعبر عنه بقوله جل وعل متاع قليلا:
لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد).
(قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار).
نعم قليلا، تمتع بكفرك قليلا، قد يكون هذا القليل ستون سنة.

قد يكون سبعون، قد يكون مائة، ولكن كم تساوي هذه الومضة في عمر الخلود الأبدي في الآخرة؟
كم تساوي هذه الومضة في عمر أبدي خالد في دار الجزاء.
(قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ،قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين).
قالوا يوما..ثم تكاثروا اليوم فرجعوا أو بعض يوم فسأل العادين.
(قال إن لبثتم إلا قليلا).
كان هذا القليل عشرات السنين، ولكنها أصبحت في عمر الخلود الأبدي في الآخرة يوما، كلا فاليوم كثير، بعض يوم، بعض يوم وهم مستيقنون أنه بعض يوم فاسأل العادين.
(قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنت تعلمون).
هناك يأتي الجزاءُ الحقيقي.
ولذا كانت آياتُ القرآنِ تتنزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تخاطبه وتلفتُ أنظارَ المؤمنين معه إلى أن القِصاص الحقيقي، والعقوبةَ الحقيقةَ والجزاءُ الذي ينتظرُ الظالمين والمتكبرين والمتجبرين من الكفار والفجرة والظلمة هناك:
(إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم).
(وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون).
قد ترى شيئا من عقوبتهم وقد يتوفاك قبل ذلك.
ولكن العبرةُ بالمرجع إلينا، وهناك سيلفون على ربٍ كان شهيداً على فعلهم كلِه، كلِ الذي فعلُوه لم يكن خافيا على الله، كان مطلعاً عليه:
(فذرهم يخوضوا ويلعبوا، حتى يلاقوا يومَهم الذي يوعدون).
حينها كيف سيكون حالهم؟
(يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفون، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون).
وطالما نظرت أبصارهم بجرائه.
وطالما اشمخرت أنوفهم بكبرياء.
أما اليوم فأبصارهم خاشعة، وكبريائهم ذليلة، لماذا ؟.... ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون.
لأنهم في يوم الموعد، لقد وعدوا ذلك اليومَ.
وعدوا به في الدنيا ولكن استهانوا واستخفوا فما بالوا وما اكترثوا ولا استعدوا فما أسرعَ ما لقوه.
وما أسرع ما شاهدوه.
وما أسرع ما أحاطَ بهم أمره، ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون.
هنا أيها المؤمنون بلقاء الله جل وعلا تأثرُ هذه الحقيقةُ العظمى في نفسِ المؤمنِ ووجدانِه.
فيعلم أن من اجترأ على الله وإن عاش كما يعيشُ الناس.
بل ومات كما يموت الناس فإن الجزاء الحقيقيَ ينتظر هناك.
إن الدنيا ليست دارُ جزاء ولكن دارُ عمل، وأما الآخرةُ فهي دارُ جزاء ولا عمل.

نعم قد يعجلُ اللهُ العقوبة لبعضِ المتمردين لحكمةٍ يعلمها.
فأهلك قومَ نوحٍ، وقوم هود وقومِ صالح، أهلك أمماً، وأهلك أفرادا.
أهلك فرعون وقارون وهامان وأبا جهل وأبي ابن خلف.
ولكن هذا تعجيل لبعض العقوبة، وقد يتخلف هذا التأجيل فتدخر العقوبةُ كلُها ليوافي المجرم يوم القيامة فإذا عقوبته كاملة لم يعجل له منها شيء.
ولكن كل ما قارفَه في الدنيا، وإن عاش في الدنيا كما يعيش الناس، وتمتع في الدنيا كما يتمتع الناس، ثم مات ميتة طبيعية كما يموت الناس فإن كل ما فعله لم يكن يتم في غفلة من الله:
(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء).
هنا نعلم أنه ليس بالحتم أن تحلَ العقوبةُ بالظالمينَ في الدنيا.
ليس بالحتم أن يعجلوا بالعقوبة.
ولكن الذي نحن منه على يقين أن ظلمَهم واجترائَهم على الله، وانتهاكَهم لحرماتِ الله،لم يجري في غفلةٍ من الله.
ثم ليست كلُ عقوبةٍ لابد أن تكون ماثلةً للعيان، فهناك عقوباتٌ تدبُ وتسرب إلى المعاقبينَ بخفية، تسري فيهم وتمضي منهم وتتمكن من هؤلاء وهم لمكر الله بهم لا يشعرون.
قد يملي اللهُ لظالمٍ ولكن ليزدادَ من الإثمِ وليحيطَ به الظلمُ، ثم يوافي اللهَ بآثام كلِها وجرائمهِ كلِها ليوافي حينئذٍ جزاءه عند ربٍ كان في الدنيا مطلعاً عليه شهيداً عليه رقيبا عليه.
(ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين).
ليزدادوا إثما، وأنظر إلى عقوبة أخرى:
(ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون). فماذا كانت العقوبة ؟
هل احترقت أموالهم؟
هل قصمت أعمارهم؟
هل نزلت عليهم قارعة من السماء؟
هل ابتلعتهم الأرض؟
ماذا كانت العقوبة التي حلت بهم؟
أستمع إلى العقوبة:
(فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون).
كان الجزاء أن أعقبهم الله نفاقا مستحكما في القلوب إلى يوم يلقونه، فهو حكم عليهم بسوء الخاتمة.
(كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون).
(بل طبع الله عليها بكفرهم).
هذه عقوبات تسرب إلى القلوب في غفلة من الناس ومن الظالمِ نفسه، ولكنها عقوبات بالغة الخطورة.

ولكن العبرة بالمصير، بالمصير يوم يفضي هذا الظالم إلى الله جل جلاله فيوافي عقوبة لا يستطيع أحدا من البشر، من الخلق الذين كانوا في الدنيا يحبونه، ويوالونه وينصرونه، لا يستطيع أحد منهم أن ينصره أو يكفيه أو يتحمل عنه شيئا من العذاب.
كانوا في الدنيا يقولون له نحن فداك، نحن نكفيك.
لكن في الآخرة لا فداء لأن الفداء نار تلظى، لأن الفداء نار شديدة محرقة وخلود فيها، فمن الذي يفدي؟
(يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه، وصاحبته وأخيه، وفصيلته التي تؤويه، ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه).
يود ذلك! لكن يأتي الجواب ..كلا:
(كلا إنها لظى، نزاعة للشوى، تدعو من أدبر وتولى).
فمن الذي عنده استعداد للفداء.
أمة الإسلام، أيها المؤمنون بالله ولقائه نفضي من هذا كله إلى وقفات سريعة:
الوقـفة الأولى:
أنا إذا رأينا أملا اللهِ للظالمين وتمكينه للمجرمين فينبغي أن نعلم باليقين وإلا فنحن نعلم بالإيمان أن الجزاءَ مدخرٌ هناك، ولذا فلا دعي للبحث عن كوارث دنيوية تحل بهم.
إنك تشفق على بعض الطيبين عندما تراهم يجهدون أنفسهم في البحث عن عقوبة دنيوية حلت بهذا الظالم أو ذاك المجرم، حتى إذا لم يجدوا شيئا قالوا الموت هو العقوبة.. كلا.
لقد مات الأطهار والأبرار والرسل الكرام، ولكن العبرة هناك في دار الجزاء.
الوقـفة الثانية:
أن لا يغترَ أحدُ بأي مظهرٍ من مظاهر القوةِ أُتيها، فمظاهرُ القوةِ في الدنيا نسبية، ولكنها كلها على تفاوتها تتعطل حينما يوقفُ العبدُ بين يدي اللهَ جل جلاله.
إن الرجل يتمتع بقوة نسبية على المرأة تلك التي لا تملك إلا الدموع تستنصر بها.
لكن عليه أن يتذكر أنه إن ظلمها فلم تستطع أن تنتصر منه في الدنيا ومشى أمام الناس بطوله ورجولته فهناك موعد تذهب فيه قوته وقوامته ويتم القِصاص منه للمظلوم ولو كان ضعيفا.
يتذكر شرطي المرور أو الدوريات:
أنه عندما يأمر بمسكين إلى التوقيف، ثم يوقف ذلك المسكين دون أن يسائل هو، وإن سؤل فهو المصدق، ثم يذهب هو إلى بيته ويجلس إلى أهله ويتناول طعامه.
وذاك في التوقيف يحاول الاتصال بأهله هاتفيا وقد لا يستطيع.
ليتذكر أن هذه القوة الدنيوية ستنمحي، ستنمحي وسيوقف هو وهذا الذي ظلمه فلم يجد في الدنيا من ينتصر له، سيوقف هو وإياه بين يدي من ينتصر له.
ليتذكر الكفيل غربة العامل وحاجة العامل:

فيجور عليه ويكلفه بما ليس من عمله ويماطله في حقه، ليتذكر أن هذه الفوارق ستنتهي.
وهذه القوة الجزئية التي يتمتع بها ستنمحي.
وهذا الضعف الذي يهيمن على هذا العامل الآن سيذهب.
وسيوقفان جميعا بين يدي رب لا يظلم أحدا، وليس أمامه تمايز في القوى.
إن القوة التي تستمدها من جنسيتك أو بلدك ستذهب لأنك ستحشر ولك ليس في بلدك وستوقف أمام الله وليست معك جنسيتك، ولكن بين يدي رب لا يظلم أحدا.
ليتذكر المسؤول الإداري مهما كانت منزلته، مهما كانت مسئوليته:
أنه عندما يجور على موظف بنقل تعسفي.
أو جور إداري وهو مطمئن إلى أن هذا الموظف لا يستطيع أن ينتصف منه في الدنيا.
وأن المسؤول الأعلى وإن علا مصدق له مكذب للموظف المسكين.
ليتذكر أن هذا يدور في أرض لا يعزب عن الله فيها شيء، وأن هذا التفاوت في القوة سينتهي وينمحي وستوقف أنت وإياه بين يدي رب لا يظلم أحد.
قد لا تفضي إليك العقوبة في الدنيا، قد تنال ترقياتك كاملة ورواتبك موفاة وتنال تقاعدك أو تأمينك بانتظام، بل وتموت من غير عاهة مستعصية، ولكن كل ذلك لا يعني أنك قد أفلت من عقوبة.
التاجر الذي يستغل ذكائه التجاري فيدلس على محتاج أتى إلى سلعة:
ويستغل عبارة ركيكة مكتوبة في آخر الوصفة (البضاعة التي تشترى لا ترد ولا تستبدل).
ينبغي أن يتذكر أن هناك موقفا لا تجديه فيه هذه الورقة، ولا ينفعه فيه الذكاء التجاري لأنه موقف بين يدي علام الغيوب المطلع على السر وأخفى.
ليتذكر كل من يتمتع بأي مظهر من مظاهر هذه القوة:
أن هذه القوة وإن كثرت وقويت فهي تنتهي سريعا وتمضي جميعا.
والعبرة بالمثول بين يدي رب تنتهي كل موازين القوى أمامه جل وتقدس وتعالى.
أما أنت أيها المظلوم فتذكر أن الله ناصرك لا محالةَ لأنك في ملكِ من حرم الظلمَ على نفسه، وحرمَه بين عباده، وسينتهي بك المصيرُ إلى يومٍ يقتصُ اللهُ فيه للشاة الجماء من الشاة القرناء، فكيف بك أنت!
لن يفوت شيء من حقك في الآخرة وإن فات في الدنيا.
الوقفة الثالثة:
أن هذا المعنى وهو انتظار الجزاء الأخروي كما هو دافع رهبة فهو دافع رغبة.
توفي زين العابدين على أبن الحسين، فلما وضع على لوح الغسل وجد المغسلون في أكتافه ندوبا سوداء، فتفكروا ! مما أتت هذه الندوب في ظهر هذا الرجل الصالح؟
وأكتشف الأمر بعد، لقد كان هذا العابد يستتر بظلمة الليل وحلكة الظلام ينقل أكياس الطعام إلى أسر فقيرة لا يدرون من الذي كان يأتيهم بها، عرفوا بعدما مات فانقطعت تلك الصلة من الطعام.
ما الذي يحمل زيد العابدين على أن يتوارى بعمل الخير ويستتر به ؟

إن الذي يحمله على ذلك انتظار الجزاء الأخروي، يريد أن يوافي ربه بأجره موفورا.
وكذا كل منا عليه أن يجعل بينه وبين ربه معاملة خاصة سر بينه وبين الله يجهد جهده أن لا يطلع عليها أحد من الخلق حتى يوافي ربه بعمل يستوفي جزاءه منه.
الوقفة الأخيرة:
وما هي بأخيرة، أن في استحضار هذا الأمر مدد للسائرين في طريق العمل للدين والدعوة إلى الله.
إن الذي يشخص ببصره إلى الجزاء الأخروي ينظر إلى العوائق فإذا هي يسيرة.
وإلى الصعوبات فإذا هي هينة.
وإلى الضيق فإذا هو سعة لأنه ينتظر جزاء أتم وأوفى.
قتل مصعب أبن عمير، وقتل حمزة أبن عبد المطلب فلم يوجد ما يوارى به أحدهم إلا بردة إن غطي بها رأسه بدت رجلاه وإن غطيت بها رجلاه بدأ رأسه، فأمر نبيك (صلى الله عليه وسلم) أن تغطى رؤوسهما وأن يوضع على أرجلهما من ورق الشجر.
هكذا انتهت حياة العمل للدين من غير أن يتعجل شيء من أجورهم أو يروا شيئا من جزائهم.
ولكن عند الله الموعد وعنده الجزاء الأوفى.
أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.
.....
الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه.
وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه (صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه) وسلم تسليما كثيرا.
أما بعد أيها الناس اتقوا الله حق التقوى، وأعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد (صلى الله عليه وسلم) وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.
واعلموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فقال جل وعلا:
(إن الله وملائكته يصلون على النبي.. يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما).
اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد النبي الصادق الأمين،
وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وخلفائه الراشدين.
وسائر الصحابة أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
وعنا معهم بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين.
اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وأحمي حوزة الدين.
وأجعل بلدنا هذا أمنا مطمئنا يأمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر.
وتقال فيه كلمة الحق لا يخشى قائله في الله لومة لائم.
اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويأمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر.

اللهم أصلح أحوال المسلمين.
اللهم أصلح ولاتهم، اللهم أصلح علمائهم، اللهم أصلح شبابهم، اللهم أصلح نسائهم، اللهم أصلح ذراريهم.
اللهم تولهم في كل أمورهم.
اللهم عليك بكل عدو للإسلام.
اللهم عليك بإخوان القردة والخنازير.
اللهم عليك بالصرب الصليبيين.
اللهم عليك بالرافضة الكائدين.
اللهم أشدد عليهم جميعا وطأتك، وانزع عنهم عافيتك، وأنزل عليهم نقمتك، ومزقهم كل ممزق.
يا رب العالمين.
ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.
سبحان ربك رب العزة عن ما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

**** أصحاب الأخدود ****

العمل للدين واجب الجميع

.....
تقديم لفضيلة الشيخ عائض بن عبد الله القرني:
الحمد لله القائل:
(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم).
والصلاة والسلام على رسول الله القائل:
(مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث) صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.
أيها الناس:
يا حملة المبادئ، يا ورثة لا إله إلا الله محمد رسول الله.
كان عنوان درس هذه الليلة نشيد الموت، ولكنه أصبح نشيد الحياة.
لقد أتانا الليلة من يحيينا بكلماته، وينعشنا بعباراته:
وأتى بريحان الكلام فكلما.....بسم الحبيب بوجهه حياه
أنا لا أحييّ كل من قتل الهوى.....لكن أحييّ كل من أحيـاه
أنا الليلة أترك هذا المنبر لكفأه، والقوس لبارئه، والميدان لفارسه.
هو ليس بحاجة لثنائي وإطرائي
ولكني بحاجة لترحيب به، دِينُ أدين به، ودَينُ أقضيه، ومروءة تستثير عواطفي نحوه.
فيا خطيب العاصمة، ويا لسان الصحوة:
إن حاجة الأمة إلى الكلمة الصادقة من الداعية الناصح أعظم من حاجتها إلى طعامها وشرابه.
وإن الأمة اليوم ممثلة في جيلها المحمدي الطاهر الهدّار بالمثل أصبحت أُذنا صاغية لكلمة الأوفياء الخيرين، فطالما سئمت الأمة الهراء والهذيان.
إنها سئمت الهذيان المكشوف الذي عافته القلوب ورفضته النفوس.
ولعل الله أن يزجي بكلامك سحابا من الخير.
ثم يؤلف بينه في قلوب المؤمنين ثم يجعله ركاما هائلا من العطاء الطيب المبارك.
فترى ودق الصدق والنصح يخرج من خلاله.
فيصيب به من يشاء من عباده المؤمنين البررة.
ويصرفه عن من يشاء من الأغبياء الفجرة.
يكاد سناء برقه يذهب بأبصار المنافقين والمرتدين.
فقل للعيون الرمد للشمس أعينُ.....تراها بحقٍ في مغيب ومطلعِ
وسامِح عيونا أطفئ الله نورها.....بأبصارها لا تستفيقُ ولا تعي
أترككم هذه الليلة الخالدة الرائدة مع أستاذ الحديث بجامعة الإمام (سابقا).
وخطيب العاصمة ولسان الصحوة فضيلة الشيخ:
عبد الوهاب بن ناصر الطريري فليتفضل مشكورا مأجور.
.....
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية من عند الله طيبة مباركة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، والحمد لله عند كل نعمة.
والحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضاه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا رب غيره ولا معبود بحق سواه.
وأشهد أن نبينا محمد عبد ورسوله، أفضل نبي وأشرفه وأزكاه.
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن أتبع سنته واهتدى بهداه.
أيها الأحباب :لا بد أن أشكر بين يدي هذه الكلمة شيخي وأخي وحبيب قلبي، شيخنا جميعا أبو عبد الله عائض أبن عبد الله حفظه الله وتولاه.
والذي أكرم بدعوته، ونزل بساحته، وأعار اليوم ظهر منبره.
وسعى لهذا اللقاء المبارك على ساحة الحب في الله.
فإن المتحابين في الله تحت ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.
ثم إن أخي الشيخ عائض رجل بليغ، وبين البلاغة والمبالغة سبب وثيق وحبل واصل.
ولذا فإني لن أكافئه ثناء بثناء، فالبيان ميدانه الذي لا يبارى فيه، ومضماره الذي لا يجارى فيه.
ولكني أكافئك أبا عبد الله ثناء بدعاء:
فأدعو الله جل جلاله أن يجزيك ويثيبك وأن يقر عينك بعز الإسلام و ظهور المسلمين، وقيام كلمة الحق ظاهرة تقر بها أعيننا جميعا.
وأن يكتب لك ما احتسبت وأن يجزيك عنا خير ما جزى عباده الصالحين.

أما هذه الكلمة فهي بعنوان (العمل للدين مسؤولية الجميع)
إنها القضية التي ينبغي أن لا نمل طرحها ولا نسأم تكرارها حتى تتجذر في القلوب وتتشبع بها النفوس، وتصبح حية في مدارك الناس حاضرة في واقعهم.
إنها قضية العمل للدين وأنها قضية كل مسلم حتى يصبح العمل للدين قضية ساخنة في حياة المسلمين، تواجهك في كل لفتة وفي كل فلته.
إنها قضية استنفار الطاقات المعطلة لتقدم لدينها يوم نفرت كل أمة إلى رسالتها وعقيدتها.
إنها قضية إحياء الإيجابية في نفوس المسلمين بعد أن عشعشت السلبية على مواقع كثير من المسلمين، فحملوا دينهم بضعف والله يأمرنا أن نحمله ونأخذه بقوة.
إنها قضية تحريك الدماء في هذا الجسد الضخم من الملايين المملينة من المسلمين الجغرافيين الذين خبا لهيب الإيمان في حياتهم، فإذا هم كما وصفهم نبيهم (صلى الله عليه وسلم) غثاء كغثاء السيل.
إنها قضية جرد الحسابات لجهود شباب الصحوة الذين أشرقت بهم سماء الأمة بعد أن تكدرت سمائها بالقترة، فإذا بهم يتدفقون دفعات زاخة إلى مجالس الدعاة وحلَق العلم.
ثم نبحث عن جهودهم فإذا جهودهم لا يتناسب مع عددهم.
وعطائهم لا يتناسب مع هذا الجموع وقوة زخمها.

إنها قضية رفع مستوى العامة للإحساس بأن الأمة في أزمة وهي أزمة ضعف الإيمان.
نقف أيها الأحباب مع قضية العمل للدين وأتناولها في محاور خمس:
أولا/ العمل للدين قرين الانتماء إليه.
ثانيا/ العمل للدين وظيفة العمر.
ثالثا/ العمل للدين ليس وقفا على فئة، وليس مسؤولية طائفة، بل هو مسؤولية ملقاة على كاهل كل مسلم.
رابعا/ العمل للدين موزع في أدوار بين المسلمين، وليس مسلم يعجز أن يجد له دورا.
خامسا/ أمثلة من الواقع ونماذج من العمل.
ثم أعود إلى هذه المحاور بشيء من التمثيل والتدليل.

أولا/ العمل للدين قرين الانتماء إليه.
هذه قضية كانت واضحة محسومة في عقيدة الجيل الأول، في عقيدة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم تلقوا هذا الدين غضا طريا من في محمد ابن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه.
يوم كان أحدهم يبسط يده إلى اليد المباركة ليبايع محمدا (صلى الله عليه وسلم) على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لا يبيعه على غيرها، ثم يستشعر أن هذه البيعة قد ألبسته لباس الجندية ليعمل لهذا الدين.
وخذ هذا من خلال نماذج أعرضها عرضا سريعا:
قصة الطفيل ابن عمر الدوسي رضي الله عنه حين جاء إلى مكة في أوليات الدين.
يوم كانت قريش تضرب حول هذه الدعوة سياجا شائكا من الحرب الإعلامية، والحرب الإعلامية تكتيك يمارس ضد الدعوة إلى دين الله ورسالات الله من القديم وإلى اليوم.
ونحن اليوم نرى نماذج للحرب الإعلامية القذرة الدنسة في الصحافة ضد الدعوة التي تدعو إلى تحكيم شريعة الله، فهي ترجم بالأصولية.
ترجم بالدعوة إلى قلب نظام الحكم في بلاد قلب فيها نظام الحكم فيها مرارا.
ترجم بالانتهازية، ترجم بأوصاف قذرة دنسة وأنواع من التهم المعلبة المستوردة.
هذا النوع من المواجهة كانت تسلكه قريشا قبلا، فليس غريبا على الداعين إلى الله.
كانت قريش تتلقى كل وافد إلى مكة، فتقول له:
(إنا نحذرك غلاما بني عبد المطلب، إنه يقول كلاما يسحر به من يسمعه، فيفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه، أحذر ومن أنذر فقد أعذر).
تلقت هذه الدعاية الطفيل ابن عمر فما زال به الجهاز الإعلامي القرشي الكافر حتى عمد القطن فوضعه في أذنيه، ودخل الحرم.
ويشاء الله أن ينفذ كلمات رسوله على رغم أنف قريش وعلى رغم القطن الموضوع في أذني الطفيل. فيسمعُ قراءةَ الرسولِ(صلى الله عليه وسلم) وهو

يترسلُ بكلام الله الذي فلق سبع سماواتٍ حتى تعطرت به أنحاءُ مكة، فسمع كلاما لم يسمع مثله قبل.
فأقبل على نفسه يراجعها ويقول عجبا إنني رجل عاقل لبيب فكيف أعير عقلي غيري؟
آلا أتيت إلى هذا الرجل فسمعت منه فإن كان خيرا كنت أحق به، وإلا فإني أعرف كلام العرب شعرها ونثرها وكهانتها وسحرها، فنزع القطن من أذنيه ثم جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال:
إني قد سمعتُ قولَ قومَك فيك، وإني أحبُ أن أسمع منك، فاعرض عليَ ما عندَك، فعرض عليه الرسولُ (صلى الله عليه وسلم) الإسلام وعلّمهُ القرآن، فأمن مكانه.
بإمكانِك أيها الأخُ المبارك أن تتسأل كم شُرع من شرائع الإسلام حين إذٍ، إنه التوحيدُ وشرائعُ قليلةَ.
أسلم الطفيلُ مكانه ثم شعر بهذه المسؤولية للتو، فقال:
يا رسولَ الله إن دوساً كفرت بالله وانتشر فيهم الزنى فأرسلني إليهم.
سبحان الله إن الرجلَ لم يتلقى الإسلام إلا الآن، ولكنَه شعرَ للتو أن هذه البيعةَ على الدخولِ في الدين تستوجبُ العمل له، فإذا به يتحولُ في مكانه داعيةٍ ونذيرٍ إلى قومه.
أرسلني إليهم إنهم قد كفروا بالله وفشا فيهم الزنى.
فأرسلَه الرسول (صلى الله عليه وسلم) إليهم، ودعا الله أن يجعل له آية فلم انصب إليهم خرجت الآية وإذا هي نور في وجهه، فإذا وجهه يضيء كأن في وجهه سراج، فقال يا رب يراها قومي فيقولون مُثلة، اللهم أجعلها في سوطي، فانتقلت إلى سوطه فكان يحرك سوطه وفي طرفه مثل القنديل.
وعرض الطفيل الإسلام على قومه فأسلم بعض قرابته واستعصت عليه عشيرته.
فماذا فعل ؟
هل شعر بأن هذا أمر طبيعي لا يستثير وجدانه ولا يحرك وجدانه؟
كلا، فقد ثارت في نفسه الغيرة على الدين فعاد إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يشكو إليه الحال ويقول له بحرقة:
يا رسول الله إن دوسا قد كفرت بالله فأدعو الله عليهم.
فرفع النبي (صلى الله عليه وسلم) يديه الطاهرتين المباركتين التي ما دعت بإثم ولا قطيعة رحم وقال:
اللهم اهدي دوساً، اللهم اهدي دوساً، اللهم اهدي دوساً.
والشاهدُ آيها المبارك من هذه القصةُ استشعارُ الطفيلِ رضي اللهُ عنه بمجردِ أن دخلَ في الدين مسئولية الدعوة إليه.
فمنذ كم دخلنا في هذا الدين وما مدى استشعارنا لهذا الأمر؟
سؤال ندع الإجابة عليه إلى أعمالنا وهواجس قلوبنا.
أبو ذر رضي الله عنه جندب إبن جناده أعرابي جاء من قبلة غفار ينشد الهدى مظنته، أبو ذر الذي إذا أخرج بطاقته الشخصية ليعرف بنفسه يقول: أبو ذر جندب إبن جناده ربع الإسلام.
كيف يكون أبو ذر ربع الإسلام؟

يعني أنه كان في يوم من الأيام ربع العالم الإسلام.
ليس على ظهر الأرض في علمه مسلم إلا أربعة نفر هو رابعهم.
هذا الذي أسلم رابع أربعة أتى إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذه البداية المبكرة للدعوة فأخذ عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الإسلام، فأمره النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يغادر مكة لأن وجوده بين ظهراني المسلمين في مكة وهو غفاري ليس بقرشي يشكل عبأ على الدعوة، والدعوة لا زالت في بدايتها، فليلحق بقومه.
فماذا فعل؟ قال والله لا أخرج من مكة حتى أصرخ بها بين أظهرهم.
لقد كانت قريش تبني حاجزا ضخما من الصمت يحيط بدعوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).
فإذا بأبي ذر الذي لم يحمل من الدين إلا التوحيد يستشعر أنه يتحمل مسؤولية تقديم عمل ما للدين، وليكن هذا العمل تحطيم حاجز الصمت الذي تبنيه قريش سياجا على دعوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).
فيصرخ بالتوحيد بين ظهراني قريش، وفعلا كان ذلك:
فإذا به يغدو إلى الحرم وقريش في نواديها فيه فيصرخ وهو الرجل الأيد الشديد الجهوري الصوت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.
ويدوي ندائه في مكة فتثور إليه قريش من أنديتها، تقع عليه، وقع عليه هذا الجمع كله.
فيثور إليهم العباس رضي الله عنه وهو رجل موصول العاطفة بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه:
فخاطب في قريش حسها التجاري، فقريش قوم تجار فقال:
كيف تقعون برجل من غفار وقوافلكم تمر بأرضهم ذاهبة وآيبة ؟
والله لأن مسستموه بسوء ليقطعون عليكم الطريق إلى الشام. هنا توقفوا.
فقام أبو ذر بعد أن راء الهلكة بأم عينيه.
هل قام وهو يقول الحمد الله الذي أنجاني، أين راحلتي إلى أرض قومي؟ كلا.
قال لا أذهب حتى أصرخ بها غدا.
وفعلا يعود من الغد ويصرخ بها، ويثورون إليه كما ثاروا بالأمس.
ويثور العباس فيخلصه - وكان إذ ذات مشركا - وبالأسلوب ذاته " إنه رجل من غفار وقوافلكم تمر بأرضهم ذاهبة وآيبة فدعو الرجل يلحق بقومه.
ويخلّص أبو ذر، فهل قال لقد نجوت هذه المرة يوم خلصني العباس، وسألحق بقومي وقد أديت ما علي، والحمد لله الذي نجاني من القوم الظالمين؟ نعم حمد الله ولكن بالتزام أن يعود ثالثة.
يقول البناءون وجه واحد من البوية لا يكفي.
عاد أبو ذر ثالثا وليس على يقين أن العباس سيخلصه المرة الأخرى.
ولكنه على يقين أنه بعمله ذلك يقدم عملا إيجابيا للدعوة.
ولتنشق أذان قريش بالدعوة التي تحاصرها بالصمت.
وليعرف الناس سماع الشهادة، ونداء التوحيد، والخبر برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم).
فإذا به ينادي ثالثا فيثورون إليه ويقعون به فيخلصه العباس.
فيمم شطر قومه غفار، فماذا فعل عندهم؟

لقد بدأ بأسرته وقرابته فدعا أمه ودعا أخاه ثم هب إلى قبيلته يدعوها فاسلم نصفها.
أما النصف الأخر فقالوا:
أليس صاحبك (يعني رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) قد أمرك أن تذهب فإذا سمعت بأنه قد ظهر أن تلحق به؟
النبي الآن ثالث ثالثة ويقول لأبي ذر فإذا علمت أني قد ظهرت فالحق بي، اليقين.
قالوا أليس وعدك أنه إذا ظهر تلحق به؟ قال نعم.
قالوا نحن إذا ظهر آمنا لحقنا به، أما الآن فننتظر.
فلما ظهر النبي (صلى الله عليه وسلم) آمنت غفار كلها فقالت بنو عمها قبيلة أسلم:
ليس بنا عما رغب به بنو عمنا غنى فأسلموا أيضا.
فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله.
هذا الإنجاز تحقق على يد رجل اعتقد أنه ريع الإسلام.
ريع العالم الإسلامي في وقته لم يحمل من النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا التوحيد، ولكن حمل مع التوحيد الاستشعار للمسؤولية اتجاه هذه الرسالة، واتجاه هذه العقيدة وأن دخوله لهذا الدين يستوجب العمل له.

ثانيا/ العمل للدين وظيفة العمر.
العمل للدين ليس مؤقت بوقت ولا محددا بزمان ولا مكان وإنما هو وظيفة العمر كلها.
فإذا كان الانتماء للدين يستلزم العمل له، فالعمل للدين وظيفة العمر.
واستشرف هذا المعنى من سير أنبياء الله ورسوله والتابعين لهم بإحسان:
هذا نوح عليه السلام يصف برنامجه في الدعوة إلى الله يقول:
(إني دعوة قومي ليلا ونهارا) ثم يقول:
(ثم إني دعوتهم جهارا، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا).
ماذا بقي من حياة نبي الله نوح؟
الليل والنهار، العلن والإسرار، كل ذلك سخر للدعوة، كل ذلك سخر للرسالة آلف سنة إلا خمسين عاما. الحياة كلها دعوة، ليل ونهار، علن وإسرار.
ثم أرحل مع نبي من أنبياء الله ورسله يوسف عليه السلام:
يوسف الذي القي به في غيابة الجب، ثم في غيابة السجن.
أدخل السجل يرسف في قيوده.
يعاني في السجن لوعة الغربة، وألم البعاد، وقهر الظلم، ومضاضة ظُلم ذوي القربى.
يعاني كل هذه الآلام ويكابدها في ظلمات السجن وثقل القيد، ولكن مع هذا كله، مع هذه المعانات كلها لا ينسى أبدا دعوته وقضيته ورسالته، فإذا به يحول السجن إلى مدرسة للتوحيد، مدرسة للدعوة.

يتبين لنا فيها براعة الداعية وحسن تأتيه فإذا به يستقبل سؤال صاحبيه في السجن حينما يسألانه:
(رأيتني أعصر خمرا).
(رأيتني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه).
(نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين). فيتأتى أحسن التأتي في بيان دعوته:
أولاً يكرس حسن ظنهما به فيقول:
(لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما).
ثم يستغل تشوقهما للجواب على السؤال الذي طرحاه، فلا يجيب على السؤال مباشرة ولكن يطرح القضية الضخمة التي تعيش في وجدانه وهي رسالة الله وعقيدة التوحيد فيقول:
(يا صاحبي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)؟
ثم يندد بعقيدتهما وعبادتهما فيقول:
(ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان).
أسماء سميتموها ليس لها حقائق، حتى إذا كرس عقيدته وبين أنه بريء هو وأبوه وجده مما هم عليه وأنه أتبع الرسالة الخالصة الموحدة لله.
ثم يجيب بعد ذلك على السؤال:
(أما أحدكما فيسقي ربه خمرا،وأما الأخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه، قضي الأمر الذي فيه تستفتيان).
قضي بعد ماذا ؟
بعد أن ألقى عليهم محاضرة مملوءة بالأدلة والبراهين والتثبيت في التوحيد.
سبحان الله! نبي في هذه المعاناة، ألم السجن، ألم الغربة، قهر الظلم، لوعة البعاد ومع ذلك تبقى قضية نبوته ورسالته وعقيدته والدعوة التي يحملها حية لا تخبو ولا تلين.
بل إن أنبياء الله ورسله وكذا السائرون على أثرهم لا ينسون دعوتهم في أحرج اللحظات وأشد الساعات وأشد الكربات كربا، وآلمها ألما، وأمضّها وأوحشها.
إنها أشد ساعة تمر بالإنسان منذ ولادته إلى مغادرته إنها ساعة الموت.
وهل ساعة أشد منها؟ وهل ساعة أعظم هولا ؟ وأكرب كربا ؟ وآلم ألما من هذه الساعة؟
ستفضي بك الساعةُ في بعض مرها.....إلى ساعة لا ساعة لك بعدها
هذه الساعة الموحشة المؤلمة الشديدة لا تنسي أنبياء الله ورسله دعوتهم وقضيتهم ورسالتهم لأن الدعوة وظيفة العمر كله، حتى في آخر لحظات العمر.
تبقى الدعوة والرسالة والعمل للدين حية لا تموت وهم يموتون.
هذا نبي الله يعقوب عليه السلام يصف الله لنا مشهد وفاته.
حاله وهو يموت كيف مات من كان عنده؟ ماذا قال؟ ماذا أنفذ وهو يودع الدنيا:
(أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت) وبنوه حولَه فماذا فعل؟ وماذا قال ؟
(إذ قال لبنيه) ماذا قال لهم؟
الأموالُ كيف تجمعونها ؟

القصورُ كيف تبنونها ؟
الثروات كيف تكدسونها أم التركة كيف توزعونها ؟
أم الزروع كيف تزرعونها ؟
كلا ليس شيء من ذلك ولكن هم الدين وقضية التوحيد:
(ما تعبدون من بعدي).
هذا الهم الذي بقي يقضا في قلبه وهو يودع الدنيا، (ما تعبدون من بعدي).
وهو الذي رباهم على التوحيد مذ منذ نعومةِ أظفارِهم، وعرف توحيدهم وصدقهم وإخلاصهم.
ولكن الهمُ اضخم في القلب (ما تعبدون من بعدي) ؟.
ويجيء الجواب الذي يقر عينه:
(نعبدُ إلهك والاه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون).
ثم انظر إلى حالِ نبينا وحبيبنا وإمامنا وقدوتنا (صلى الله عليه وسلم) :
الذي قضى ثلاثاً وعشرين سنةً في جهدٍ وجهاد وصبرٍ ومصابرةٍ.
بعد هذه المسيرةِ الحافلةِ في بلاغ رسالات الله، وبعد أن اعذر إلى الأمة بأنه قد بلغها دينها وأدا إليها الأمانة التي أتمن عليها، تهي للحاق بالرفيق الأعلى والمحل الأسنى.
فإذا به في أخرِ عُمرِه يصاب بالحمى التي تستعر في بدنه خمسة أيام حتى إن حرارة بدنه يحس بها من يضع يده على الأغطية وهو متغطي بها (صلى الله عليه وسلم)، ويقوللله أبن مسعود :
(يا رسول الله إنك لتوعك كما يوعك رجلان منا، قال نعم ذلك أن لي أجر أثنين).
وحتى كان الماء يحمل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالقرب يصب على بدنه ليطفئ استعار الحمى في بدنه.
بدنُ استعرت فيه الحمى وأنهكَه المرض، وانهزمت فيه العافية.
ولكن هم الدينِ، وهم الدعوة وهم الرسالةِ والعمل لا ينهزم في البدن الذي انهزمت فيه العَافية.
ولا يخبو في البدن الذي أنهكه المرض، فإذا به صلوات الله وسلامه وبركاته عليه يذكرُ هم أمته ورسالتِه في أخرِ يوم يعيشُه على الدنيا.
إذا به صلوات الله وسلامه عليه يخرجَ إلى الأمةِ يومَ الاثنين، اليومَ الذي مات في ضحوته.
إن شئت فقل في أخرِ ساعاتِ حياته، يخرج يتفقدُ أمتَهُ!
أين تفقدها في الأسواق؟ كلا
تفقدها وهي تصلي لله في أخرِ فرضٍ تصليه أمةُ محمد (صلى الله عليه وسلم) ونبيُها حيُ على الأرض.
يتحاملُ (صلى الله عليه وسلم) على الجسدِ الواهن الذي انهزمت فيها العافية وأنهكه المرض.
يتحامل عليه لينظر أمته وهي تصلي نظرةَ وداعٍ يتفقد فيها دينها وصلاتها واعظم أركان الدين بعد التوحيد.

خرج (صلى الله عليه وسلم) على المسلمين وهم يصلون خلف ذلك الرجلِ الطيبِ المبارك الخاشع أبي بكرٍ الصديق وهو يقف في موقف الرسولِ (صلى الله عليه وسلم) يقطع القرآن ببكائه.
والصحابةُ يخيمُ عليهم جو من الحزنُ والوجوم لغيابِ رسولِ (صلى الله عليه وسلم) خمسة أيام عن محرابه الذي طالما وقف فيه يقطع آيات القرآن.
فما فجعَهم وهم وقوف إلا وسترُ حجرةِ رسولِ الله (صلى الله عليه وسلم) يرفع و إذا بالواقف محمدُ (صلى الله عليه وسلم) ، الذي غاب عنهم خمسةَ أيام تحت وطئة المرض، إذا به واقفُ يتحاملُ عل جسدِ منهك بالمرض.
ينظر إليهم فماذا رأى، رأى أصحابه وقوفاً كما علمهَم، خشوعاً كما أدبَهم، مطرقين خشوعا لأدب القرآن، وموقف الصلاة، فرأى (صلى الله عليه وسلم)، المنظر الذي ابتهج به قلبُه وقرت عينُه، واطمأنَ إلى أن رسالَته في أيدٍ أمينةٍ و أن أمتَه واقفةُ على الصراطِ الذي رسَمهُ لها.
فإذا بالوجه الشاحبِ من المرض يطفحُ عليه البشر والسرور، فيتهللُ بإشراقةِ ابتسامةٍ وضيئةٍ ما رأى الصحابةُ منظراً كان أعجبَ إليهم منها، حتى قال أنسُ ابن مالكٍ رضي الله عنه:
(ما رأينا منظراً كان أعجبَ إلينا من وجهِ رسولِ الله (صلى الله عليه وسلم)، حينَ نظر إلينا يضحك كأن وجهَهُ ورقةُ مُصحف).
(صلى الله عليه وسلم) إنه الهمُ للدين والتفاعلُ مع الدين يطفحُ فرحاً وسروراً على وجهٍ أنهكه المرضُ وشاحب بالألم.
وكاد الصحابة أن يفتتنوا بهذا المنظر، فإذا بالصفوف تنشق لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليتقدم إلى محرابه الذي طالما وقف فيه، فإذا به يشير إليهم أن أتموا صلاتكم.
ويرخي ستر حجرته فكانت أخرُ رأية رأها الصحابةُ لرسولِ الله (صلى الله عليه وسلم).
بل إنه (صلى الله عليه وسلم) إذ كنا نقول أنه حملَ الأمةِ في أخرِ ساعاتِ حياته.
فإننا نقولُ الآن إنه حملُ هم الأمة في أخرِ لحظاتِ حياته.
إذا به (صلى الله عليه وسلم) ينفقُ أخرَ الأنفاسِ وأخرَ اللحظاتِ وأخر الثواني نصحا للأمة ونداء للأمة لا ينسى هم أمته وقضيته ورسالته.
نزل به الموت فاشتد به الكرب حتى قالت عائشة رضي الله عنها:
(ما تمنيت يسر الموت لأحد بعد ما رأيت من حال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) لشدة وقع الموت عليه.
كان يدخل يده في الإناء الذي فيه الموت ثم يمسح وجهه ويقول:
(لا إله إلا الله إن للموت لسكرات، اللهم أعني على هذه السكرات).
لكنَ هذه السكراتِ لم تلهِ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن دعوته ولا عن عقيدته ولا رسالته ولا أمته فإذا به في هذه السكرات ينفذ النداء للأمةِ نداءً يخترقُ حُجبَ التاريخِ وترويه الدنيا في أخر لحظاتِ عمره، يناديا نداءً شق حُجبَ الزمن حتى أسمعنا:

(الله اللهَ الصلاة الصلاةَ وما ملكت أيمانُكم) حتى حشرجَ بها صدرُه وغرر بها حلقُه واحتبسَت بها نفسه. إنه هم العمل لدين في أقسى اللحظات وآخر أنفاس الحياة.
هذا شأن أنبياء الله ورسله وهم المخاطبون أصالة بهذا الأمر، فقهه وثقفه منهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وفتش حياة أي صحابي لا تجد يوما منها مهدرا ليس فيها عمل للدين.
وخذ مثالا واحد على ذلك جعفر أبن أبي طالب أبن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم):
قضي نحوا من إحدى عشرة سنةً في المنفى في دار البغضاء البعداء في الحبشة.
لم يأخذ أثنائها إجازة عرضية ولا مرضية ولا اضطرارية ، بقيَ إحدى عشرة سنةً متواصلةً يعاني ألم الغربة ولوعة البعاد كلُ ذلك في ذات الله حتى إذا حانت الفرصةُ عاد في السنةِ السابعةِ للهجرة.
عاد في السنة التي فتح فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) خيبر، وما يدريك ما فتح خيبر ؟
فتح حيبر كان بداية غنى للمسلمين، ما عرفوا الشبع إلا عندما فتحت خيبر.
فتحوا خيبر فكانت عزا للإسلام وفتحا للمسلمين، ولكن النبي (صلى الله عليه وسلم) يصف فرحة لقائه بجعفر فيقول:
(لا أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر).
فرح النبي (صلى الله عليه وسلم) بقدوم جعفر فرحا شديدا حتى إن فرحه به يساوي فتح خيبر.
ولكن بما كافأ النبيُ (صلى الله عليه وسلم) هذا القادَمَ المولعَ بالغربة والبعاد، الذي أعطى للدين عشر سنواتً من الغربة لوعة وأسا، بما كافأه؟
هل أصدر مرسوما كريما بتعيينه أميرا على البلدة الفلانية؟
أم أصدر أمره السامي بتعيين المخصصات التالية: أولا قصر، ثانيا مخصصات شهرية منتظمة. ثالثا كل متع البلاط ثمنا للغربة والبعاد.من اللوعةِ والغياب والغربة.
هل اصدر أوامره بأن يمنح جعفر إجازة لبقية العمر فقد قدم ما عليه، وأدا للدين ما يكفي تقديمه وأداءه ؟
كلا، كلا! كافأه مكافأة من نوع آخر. ما هي؟
كافأه بأن أتاح له الفرصةً مرة أخرى ليعمل للدين ويقدم للدين.
هذه المكافأة التي يحسنها (صلى الله عليه وسلم) ويبتهج بها أصحابه.
فإذا به يعين في منصب النائب الأول للقائد الأعلى للقوات المسلحة المتوجهة إلى مؤته.
ويذهب حفيا بهذا المنصب، فرحا بفرصة المشاركة للعمل للدين، فحياته كلها أوقفت لله.
ليس فيها يوم يسمى إجازة من العمل للإسلام.
ويحدث له هناك العجب!
يقتل القائد الأعلى زيد ابن حارثة.

فتتحول المسؤولية إليه، فينزل عن فرسه فيعقرها فكان أول عقر في الإسلام.
ثم يتقدم والراية في يمناه، ينشد نشيد الداخل في الجنة:
يا حبذا الجنة واقترابها.....طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنى عذابها.....علي إن لاقيتها ضرابها
فتقطع يده اليمنى، فيتلقف الراية باليد اليسرى، فتقطع فيحتضنها بيديه، تنوشه الرماح، تقطعه السيوف، تضربه السهام، وكل ذلك وهو صابر لتبقى الراية مرفوعة.
حتى يتقدم منه جندي رومي فيقده بالسيف نصفين.
ثم يصف لنا عبد الله أبن عمر رضي الله عنهما كما في صحيح البخاري مشهد تلك الجثة المعطرة وذلك الإهاب الممزق فيقول:
(وقفت على جعفر يوم مؤتة وإن في جسده لبضعا تسعين ضربةً ليسَ بها واحدةٌ في قفاه)
بضعا وتسعين ضربة كلها يتلقاها مقبلا غير مدبر، لم يعرف العدو له قفا ولا رأى له ظهرا.
إنها حياة عاملة للدين لا تعرف هدنة في المواجهة مع كل عدو للدين.

.....
ثالثا/ العمل للدين ليس وقفا على فئة معينة:
من شبه الشيطان التي يرجف بها على كثير من المسلمين أنه يلقي في روعهم أنهم ليس من الفئة التي تعمل للدين، العمل للدين مسؤولية أصحاب اللحى الطويلة والثياب القصيرة.
العمل للدين مسؤولة الهيئات ورئاسات الإفتاء ومجموعة من الدعاة ذوي العمل الدعوي الجماهيري.
أما أنت فمصدر للتلقي يكفيك أن تصلي الصلوات الخمس، وتصوم رمضان وتحج البيت في العمر مرة.
هكذا يرجف الشيطان على البعض موسوسا:
ثم إنك تذكر يوم كذا وكذا ماذا فعلت ؟
ألا تذكر غدرتك ؟
ألا تذكر خطيئتك ؟
ألا تذكر ذنبك، أمثلك مؤهل لأن يعمل للدين بكل هذه الأقذار بكل هذه الخطايا، بكل هذه الذنوب؟
فما يزال الشيطان يلقي عليه قصيدة في هجائه، حتى يستشعر أنه ليس من الفئة التي تعمل للدين، إذ ليس هو أهلا لذلك.
أيها الأخ المبارك:
إن العمل للدين ليس مصنفا إلى شرائح وفئات.
فكل مسلم بانتمائه للإسلام عامل للدين، مهما كان عليه، ومهما كان فيه من خطئ ومهما اعتراه من تقصير فينبغي أن لا تضيفَ إلى أخطائِك خطاءً أخرَ وهو القعود عن العمل للدين.

وينبغي أن لا تضيف إلى ذنوبك إن كنت استوحشت من ذنوبك ذنبا آخر وهو خذلان العاملين للدين.
فأعمل معهم، فلعلَ عملك لدين أن يطفئ حرارة الذنوب وتكاثر السيئات.
وخذ لذلك مثالين أثنين أعرضهما عرضا سريعا:
أولا كعب ابن مالك:
ذلك الصحابي ارتكب خطاء بأنه لم ينفر مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والله يأمرهم أن ينفروا معه يقول:
(مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله، اثاقلتم إلى الأرض).
وقفل النبي (صلى الله عليه وسلم) راجعا من المعركة فجعل كعب يزوق في خاطره كلاما، ويجمع في نفسه أعذارا ليعرضها على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند المسائلة التي كان موقنا أنه سيُسائلها.
وإذا به يجد نفسه بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يستقبل هذا السؤال: يا كعب ما خلّفك؟
وإذا بكل هذه الأعذار تتبخر، وإذا بكل هذا الكلام يتلاشى، وإذ به لا يجد إلا الصدق.
فيقول يا رسول الله لم يكن لي من عذر.
فيجئ به حكم الله أن يخلف، فيقاطع لا يكلم فكانت حاله كما وصفها الله:
(ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم).
كان يتقلب في الأسواق لا تفرج له شفة ببسمة، ولا تنبس له شفة بكلمة، حتى قال تغيرت علي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف، وتغير علي الناس فما هم بالناس الذين أعرف.
وهذا موقف – أيها الأخ الحبيب- لم نجربه، لكن لو جربناه لوجدناه موقفا قاسيا بالغ المرارة أن يتقلب المرء بين الناس فلا يجد من يرد عليه سلاما أو يفضي إليه كلاما.
وحمل كعب مرارته كلها إلى أحب الناس إليه، ابن عمه أبا قتادة رضي الله عنهما.
فتسور عليه الحائط ودخل عليه في بستانه، ولم يكن هناك رصد من المباحث يسترقون السمع أبدا.
ولم تكن هناك أجهزة للاستخبارات تطلع على الموقف.
كان هناك اثنان فقط أبو قتادة وكعب رضي الله عنهما كل منهما يصف الأخر بأنه أحب الناس إليه، أقبل إليه كعب تلقاء وجهه يقول السلام عليك ورحمة الله وبركاته ي أبن عم.
قال كعب: فو الله ما رد علي السلام.
فإذا بالمرارة تتكسر في صدره حتى أصبح مع نفسه في صراع مرير، فإذا به يواجه أبا قتادة ويقول:
يا أبا قتادة أنشدك بالله أتعلم أني أحب الله ورسوله؟
فيجيبه أبو قتادة جوابا مجردا حافا جافا ليس فيه أي كلمة من فضول:
يقول (الله ورسوله أعلم). قال كعب: فاستعبرت عيناي وحق له أن يبكي.
هل تصورنا الآن هذا الظرف النفسي الذي يعيش فيه كعب.

وفي وسط هذه المحنة والمرارة يأتي إليه رسالة ملكية ممن ؟ من ملك غسان.
وقد كان شعراء المدينة وفي مقدمتهم حسان رضي الله عنه يذهبون إلى ملك غسان يمدحونه بالقصائد الطوال ليحضوا منه بلفتة أو صلة.
إذا به يرسل رسالة إلى كعب يأتي بها مندوب خاص يسلمها إليه فيقرأها كعب فإذا نص الرسالة كالتالي:
(إنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار مهانة، فالحق بنا نواسك).
الحق بنا لتعين ضمن الحاشية في البلاط، تتمتع بكل ما في بلاط الملوك من لذة، بكل ما في بلاط الملوك من شهوة، بكل ما في بلاط الملوك من ترف، تتمتع بكل مميزات البلاط، وتكون خدينا للملك.
الحق بنا لتنال المخصصات والجوائز والصلاة، الحق بنا نواسك ونعوضك عن كل هذه المقاطعة التي تعيشها، فماذا قال كعب لحامل الرسالة:
هل قال انتظر إلى الغد حتى أفكر في أمري؟
أم قال انتظر حتى أصلي صلاة الاستخارة ؟
أم قال انتظر حتى أستشير ذوي الرأي من أهلي ؟
أم قال انتظر حتى أنظر ما ينجلي عليه الأمر، فإما أن نبي الله أنهى المقاطعة وبقيت في قومي، وإلا نظرت في أمري؟
لم يجب بأي جواب من هذه الأجوبة، ولكن استرجع وقال:
إنا لله و إنا إليه راجعون لقد طمع بي رجل كافر.
الولاء للإسلام، الولاء للإسلام الذي لا يهن حبله ولا تخبو ناره مهما قست الظروف وكلحت الأيام واشتدت المصائب يبقى الولاء للإسلام أعظم من هذا كله.
أعظم من كل محنة وأقوى من كل إغراء وأشد من كل مواجهة.
لقد طمع بي رجل كافر، فما هو حق الرسالة ؟
تحفظ في الأرشيف ؟ كلا ، تحفظ في التنور وهو مشتعل، يقول كعب:
فسجرت بها التنور ولأتحمل لوعة المقاطعة وأسى الهجران وألم النظر إلى وجوه لا تتكلم، وشفاه لا تتبسم. أتحمل كل ذلك ما دمت موصولا بالله، أحتفظ بشرف الانتماء إلى هذا الدين.
أليس هذا درسا لكل صاحب خطيئة ولكل مقارف ذنب أن انتمائه للإسلام أقوى وأعظم وأشرف وأزكى عند الله من كل سبب في الأرض ونسب فيها ؟؟ بلا.
ثانيا قصة أبي محجن الثقفي:
قصة عجب من العجب، هذا الرجل يوجه رسالة إلى كل رجل من المسلمين، إلى كل الذين يظنون أن مقارفة بعض الصغائر أو الوقوع في بعض الكبائر يعطيهم إجازة من العمل للدين مفتوحة إلى يوم الدين، كلا.
أبو محجن رجل ابتلي بإدمان الخمر، فكان لا يقلع منه ويؤتى به فيجلد ثم يعود ثم يجلد ثم يعود، ولكنه لم يفهم أن إدمانه للخمر يعطيه عذرا ليتخلى عن العمل للدين.

فإذا به يحمل سلاحه ويسير مع الموكب المتيمن صوب القادسية ليقاتل هناك الفرس وليرفع لا إله إلا الله، وليقدم دمه بسخاء للا إله إلا الله.
وهناك يقع بالمطب مرة ثانية، يشرب الخمر وهو مع الجيش.
ويؤتى به إلى سعد رضي الله عنه ثملا.
إن لله وإن إليه راجعون، جندي على مشارف القتال يؤتى به سكران، ما هي عقوبته؟
عقوبته يحرم من المشاركة في المعركة، هو ما جاء من أعماق الجزيرة إلا ليقدم دمه ثمنا للا إله إلا الله، ومع ذلك يسكر، إذا عقوبته جزاءا له وردعا لأمثاله لا يشارك في المعركة.
وكانت هذه عقوبة أليمة، ليست عقوبة تعطيه عذر وسلامة من آلام القتال وأخطار الموت.
وتصطف الجيوش للمواجهة وقد كان موقع القائد، كان مسرح لعمليات في وسط المعركة، لم تكن غرفة العمليات ولا مسرح العمليات في أماكن نائية بعيدة عن كل خطر محتمل.
فقد كان المسلمون يحرص قادتهم على الشهادة أكثر من حرس الجنود، ولم تكن الشهادة من نصيب الجندي أبو شريط وأبو شريطين، بل من نصيب القائد الأعلى أولا.
فإذا بسعد ينتظر أن يشارك في قلب المعركة، ولكنها يبتلى رضي الله عنه بالقروح في جسده فلا يستطيع أن يثبت على الخيل، فتوضع له مقصورة يدير منها العمليات عن بعد.
ومع ذلك لم يسلم من عتب بعض المسلمين عليه، حتى قال أحدهم يصف انتهاء المعركة:
وعدنا وقد آمت نساء كثيرة.....ونسوة سعد ليس فيهن أيّمُ
عدنا ونسوة كثير قد ترملت من أزواجهن، أما نسوة سعد فابشروا فسعد بخير وعافية، مع أن الذي أقعده عن المشاركة المرض، لم يقعده شيء آخر.
وبدء القتال، فقعقعت السيوف، وضربت الرماح، ووقعت السهام وهزمت الخيل، وثار غبار المعركة وعلت أصوات الفرسان، وفتحت أبواب الجنة، وطارت أرواح الشهداء، وأبو محجن يرى ذلك كله فتحركت أشواقه للموت وللشهادة وللقتال فوثب ليشارك فقال له القيد في رجله:
مكانك، محكوم عليك بعدم المشاركة لأنك شربت الخمر، فعاد وقد تكسرت أشواقه في صدره، وعانى في داخل صدره ألما ممضا أن تبدأ المعركة وليس له نصيب فيها، فيعبر عن هذه الآلام بأبيات يقول فيها:
كفى حزنا أن تطرد الخيل بالقنى.....وأترك مشدودا إلى وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغلّقت.....مصارع دوني قد تصم المناديا
وترى امرأة سعد هذا المشهد، فيقول لها:
يا سلمى فكي قيدي وأعطيني فرس سعد وسلاحه، فإما أنا رجل قتلت فاسترحتم مني، وإلا والله إن أحياني الله لاعودن حتى أضع رجلي في القيد.
وفعلا تفك قيده وتعطيه فرس سعد وسلاح سعد، فإذا بميدان المعركة يشهد فارسا يكر فيها يضرب ضرب المتحرف للقتال الذي جرب ألم الفطام منه.
فيعجب سعد ويقول ما أرى:

الضرب ضرب أبي محجن والكرُ كر البلقاء (فرس سعد)، ولكن أبا محجن في القيد والبلقاء في الاسطبل.
وتنتهي المعركة ويأتي قواد المعركة يقدمون التقارير لسعد، فإذا به يسأل من الفارس الذي رايته كأبي محجن ضربا على فرس كالبلقاء؟
ويأتيه الجواب من سلمى ذلك أبو محجن وتلك البلقاء، أما كان في القيد؟ بلا ولكن كان من شنه كذا وكذا.
فيكبر سعد رضي الله عنه هذا الموقف، ويقوم خال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى أبي محجن يفك بيديه الطيبتين القيود من رجل أبي محجن ويقول: قم فو الله لا أجلدك في الخمر أبدا. فقال أبو محجن، سبحان الله لا أجلد في الخمر؟
كنت اشربها يوم كنت أطّهر بالجلد، أما الآن فو الله لا أشربها أبدا.
وكيف يجرئ أن يشربها وقد جرب عقوبتها التي كانت الحرمان من المشاركة في العمل للدين.
فهل نفقه نحن بكل أخطائنا وعيوبنا ونقائصنا أن كل ذلك لا يؤهل لأن ندع العمل للدين، بل ينبغي أن يخز قلوبنا بأن علينا أن لا نضيف ذنبا آخر وتقصيرا آخر وهو ترك العمل للدين.

رابعا/ العمل للدين موزع في أدوار بين المسلمين، وليس مسلم يعجز أن يجد له دورا.
يفاجئك كثير من المسلمين حينما تطرح عليه هذه القضية أن يتساءل أنا ما دوري؟
فلستُ بالعالم فأفتي الناس.
ولا بالخطيب فأخطب بالناس.
ولا بالداعيةِ فأدعُو الناس. ما دوري ؟
والجواب أنه ينبغي أن نزيلَ من أذهانِنا وهماً كبيراً وهو أن العملَ للدين هو العملُ الجماهيري فقط، العمل للدين في الخطبِ والمحاضرات والنوات ومجالس الإفتاء وبرنامج نور على الدرب. كلا.
العملُ لدين أدوارٌ كثيرةٌ، ومسارب الدعوة بعددِ أنفاسنا.
أيها الأخ الكريم ألا رأيت إلى ذلك الطائرُ الأعجم الهدهد.
الذي كان يعيشُ في كنفِ سليمانَ عليه السلام، ذلك الرسول وذلك الملك الذي سخر اللهُ له الريحَ، وسخر له الجن، وأتاه ملكاً لم يؤته أحداً من العلمين.
لم يقل الهدهد ما دوري أنا بجانبِ هذا الرسول ؟
ما دوري أنا بجانب هذه الإمكاناتِ ؟
ماذا أفعل يكفي أن أبقى طائراً في حاشيةِ الملك، كلا.
لقد جاء هذا الطائرُ إلى نبيِ اللهِ سليمانَ يخاطبه بكل ثقةٍ يقول:
(أحطتُ بما لم تحط به)، ثم يصف إنجازه فيقول:
(وجئتك من سبا بنباءٍ يقين، إني وجدتُ امرأةً تملِكُهم و أتيت من كلِ شيء، ولها عرشُ عظيم)
ما هي المشكلة:

(وجدتُها وقومَها يسجدون لشمسٍ من دون الله، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون).
ثم يلقي خطاباً استنكارياً قائلاً:
(ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبو في السماوات والأرض).
فإذا كان هذا الهدهد قد وجد له دورا، افتعجَزُ أنت بما آتاك الله من ملكات وقدرات أن تجدَ لك دوراً في خدمة هذا الدين والعمل له؟
ثم أنظر إلى ذلك الرجل الذي أخبرنا الله خبره، الرجل الذي جاء من أقصى المدينة، وفي المدينة ثلاثة رسل، أرسل الله إلى تلك المدينة ثلاثة رسل، ليس واحدا ولا أثنين بل ثلاثة.
ومع ذلك لم يقل هذا الرجل ما دوري بجوار ثلاثة من رسل الله. فجاء كما أخبر الله:
(وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى، قال يا قوم أتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون)، فلم يفهم هذا الرجل أن وجود ثلاثة من رسل الله في ميدان واحد يعذره من الدعوة إلى الله، بل دعا مع دعوة ثلاثة رسل.
فوجود الدعاة في الساحة، ووجود العاملين في الساحة، لا يعذرك في القعود، بل يوجب عليك مسؤولية التعاون معهم ونشر دعوتهم وحمل رسالة الله ورسالة أنبياء الله التي يبلغونها.

خامسا/ أمثلة من الواقع ونماذج من العمل.
التي يمكن أن يقوم بها كل أحد وأن يقاس غيرها عليها، أذكرها سردا سريعا:
- الاهتمام والتوتر العاطفي:
هل بحثت داخل همومك وعواطفك عن هم الإسلام بينها ؟
كم تساوي مساحته في خارطة عواطفك واهتمامتك ؟
هل نلقاك في يوم من الأيام مشرق الوجه منطلق الأسارير يطفح البشر على محياك، ويفيض السرور على وجهك، فنسألك:
ما الذي سر خاطرك وأبهجك ؟
أنجحت في دراسة ؟ فتقول لا.
فنقول بارك الله عليك تزوجت ؟ فتقول لا.
فنقول لعلك كسبت في صفقة تجارية ؟ فتقول لا.
أبدا ليس شيء من ذلك ولكني فرحت بعز للإسلام سمعت به فهو الذي أفرحني.
هل نلقاك يوما مبتئسا كاسف البال حزينا مهموما، فنسألك:
أخسرت في تجارة ؟ أو رسبت في مادة ؟ أو مات لك قريب؟ فتجيب :
أبدا ليس شيء من ذلك ولكن آلمني وأغضبني وأحزنني أن حرمة من حرمات الله انتهكت.
أفلا يحزنني ذلك ؟ بلا والله يحزن وتنفت له القلوب كمدا إذا كان فيها حياة.
يقول سفيان الثوري رحمه الله:
(إن كنت لأرى المنكر لا أستطيع تغييره فأبول دماً)، تنفت كبده حرقة.
ليس الإنكار في القلب أمرا سلبيا مجردا، ولكن أن تذوب حشاشات النفس كمدا على حرمات الله أن تنتهك.

- هل يوجد هم الدين وقضيته في دعائك ؟
عندما تضع جبينك في الأرض تهاتف الله بدعائك ومسألتك وحاجاتك، لا يسمع أحد من خلق الله بنجواك وشكواك ودعائك إلا الله، لا يسمع بها إلا ربك، فإذا تذكر قضيتك وهمك والرسالة التي تعيش لها فتذكر دينك، فترفع إلى الله في سجودك الدعاء:
بأن يعز الإسلام وينصر المجاهدين.
ويؤيد الدعاة الصادقين ويخذل ويكبت كل من ناوأ الدعوة وكل من حاصر الكلمة وكل من وقف في وجه رسالة أنبياء الله.
هل رفعت إلى الله هذا الدعاء في سجودك؟ هل رفعته إلى الله وأنت باسط يديك في أدبار الصلوات ؟
أيها الأخ المبارك، إن الله يقول:
(أمن يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء).
فهل بعد هذه الضرورة التي تعيشها أمتنا ضرورة؟
وهل بعد هذا السوء الذي تعايشه الأمة سوء ؟
ومن الذي يكشفه غلا الله، ومن الذي يجيب ضرر هذه الأمة فيرفعه إلا الله.
النصارى أمسكوا بمقاليد أمتنا اليوم.
فإذا هم أولياء أمورنا، مصالحنا بأيديهم، قضايانا أوراقها في أيديهم.
اليهود الذين لم تقم لهم دولة
منذ آلاف السنين تجمعوا اليوم وأقاموا لهم دولة في أحضان أمتنا.
الرافضة مجوس هذه الأمة.
الذين عاشوا ألم القهر والخسف سنينا عددا وعقولا طوالا، إذا بهم اليوم يرفعون رايتهم ويستعلنون بدعوتهم ويمدون قضيتهم وعقيدتهم الكاسدة الفاسدة في أماكن من عقر دار الإسلام وعقر التوحيد حتى استعلنوا على صعيد عرفات بلعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.
أبعد هذه ضرورة ؟
أبعد هذا السوء سوء؟.
فهل صدعنا السماء بالدعاء ؟ إن هذه الأمة لا تخلوا من عبد صالح لو أقسم على الله لأبره.
ولكن هل ضججنا بالدعاء ؟ هل حظر هم الدين وقضيته في دعاءنا؟؟
- توزيع الأشرطة والكتيبات.
هل عمدت أيها الأخ المبارك إلى راتبك فإن كان راتبك بالمئات أخرجت منه بالريالات، وإن كان راتبك بالألوف أخرجت منه بالعشرات، ولكن يكون موردا منتظما، تذهب إلى مكتبة التسجيلات لتشتري شريطا تنتفع به، فتذكر أنك صاحب دعوة وصاحب قضية فتقول:
هذا الشريط لي، ولكي داعية فأشتري شريطا آخر للدعوة من المصروف الثابت الذي عينته لذلك، كم شريطا سيوزع وكم كتبا سيوزع في مجتمعنا؟
إن اضخم شركة نشر ستعجز عن تضاهي هذا المجهود لو وجد في حياتنا.
- حلق تحفيظ القرآن الكريم.

هل تنادى لها شباب الصحوة ؟ الذين يتساءلون دائما، ما دورنا؟ هل انتدب لها فئام منهم فقالوا بلسان حالهم ومقالهم، سنكفي الأمة هذه الثغرة وعلى بقية الشباب أن يكفونا ثغرات أخرى.
فأقمنا حلق القرآن التي يوجد فيها الشباب الصالح الناصح الذي يعلم فتيان المسلمين القرآن.
القرآن وتعظيم من انزل القرآن.
القرآن وحب من جاء بالقرآن.
القرآن والولاء لأهل القرآن.
القرآن والبراءة من أعداء القرآن.
وإذا بنا نمارس خطة بعيدة المدى، بطيء لكنه فعال، فنجد أنفسنا بعد سنوات ندفع إلى الساحة بمئات الحفظة وعشرات من العلماء والفقهاء.
إننا قد تخلينا مع الأسف معاشر الشباب عن هذا الواجب، وعهدنا به إلى أخوة لنا يقوم حاجز اللغة بينهم وبين هذه الرسالة، أتينا بالعجمان من أنحاء شتى ليعلموا أبناءنا القرآن.
فعلموهم القرآن حروفا ولم يعلموهم القرآن قضايا. وهذه مسؤولية نتحنملها.
- مساعدة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.
هل استشعرنا هذا الأمر، وأنه قضيتنا جميعا، وليس مسؤولية الرئاسة أبدا.
إنه مسئوليتنا جميعا بتكليف من الله جل جلاله، فإذا بالأمر بالمعروف يصبح واقعا حيا ملموسا في الحياة لا يحتاج إلى إن ولا إلى استئذان سلاحنا فيه الكلمة الطيبة، والكلمة الناصحة التي هي أحسن، وهي بضاعتنا وهي سلاحنا.
حين إذ سنجد أصحاب المنكرات يستخفون بمنكراتهم ولا يعلنونها، لأن الكلمة الناصحة والدعوة الخالصة تحاصرهم وتضيق على منكرهم.
- توزيع النصائح الكتابية.
النصائح الكتابية إلى أصحاب المنكرات خصوصا أصحاب المنكرات العلنية:
أصحاب مكتبات الفيديو.
أصحاب البقالات التي تبيع الدخان، والمجلات الخليعة
أصحاب المكتبات التي فيها الكتب المنحرفة، والمجلات المدمرة.
هل تواصلنا معهم بالرسائل الناصحة، وأنتدب الشباب إلى استكتاب العلماء النصائح التي تفيض بالأخوة والمحبة والولاء ثم قاموا بتوزيعها إليهم.
فإذا بصاحب المنكر يتلقى خطابا بإسمه الشخصي يخاطب فيه إيمانه ومحبته لله ولرسوله ويناشده أن يكفي الأمة هذا الدمار الذي بتاجر فيه.
إن هذا لو وجد لكان نوعا من الدعوة يحاصر المنكر ليقضي عليه.
- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام.
كم منا الذين يجيدون اللغات الأجنبية، ويتلمظون بكلماتها وبين كل ثلاث كلمات كلمة أجنبية، ثم يسال بعد ذلك ما دوري أنا فلست متخصصا حتى أخدم الإسلام؟
هل دعوة يوما من الأيام واحدا من غير المسلمين الذين تمتلئ بهم الشركات والمؤسسات والإدارات الحكومية؟

إنها أيها الأخوة فاحشة نقارفها عندما يأتي فئام من غير المسلمين، ويبقوا عندنا سنينا عددا، ثم يعود أحدهم ولم يسمع يوما واحدا شخصا واحد يدعوه إلى الإسلام.
ولذلك (ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا)، عندما لم ندعوهم دعونا.
فرأينا النشرات التنصيرية والصلبان توزع على أبناء المسلمين في اللغة العربية وفي هجر نائية من قبل القوات المشتركة المشاركة في حرب الخليج.
أما نحن فدورنا في الدعوة مع الأسف لا زال دورا كسيحا، إنك تفاجئ عندما تسمع عن إسلام مجموعة من نصارى شرق أسيا، وتسأل كثيرا منهم هل دعاك أحد للإسلام؟
عل عرض عليك أحد الإسلام؟
فيقول لا ولكن فكرت فاهتديت أو رأيت منظرا فأعجبني.
ولقد عجبت عندما أخبرني أحد الأحباب المهتمين بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام عن قصة إسلام شخص من الفلبين، قال له من دعاك إلى الإسلام؟
قال لا أحد.
قال ما رغبك في الإسلام؟
قال مررت بمسجد كانت دورة المياه خارجه، فرأيت شخصا يتوضأ فيغسل رجليه، فقلت هذا دين نظيف الذي يغسل أصحابه حتى أرجلهم. فاهتممت بالإسلام.
هذا المنظر الساذج البسيط كان سببا بهداية شخص، فما بالكم لو نفر فئام منا إلى هؤلاء فكاثروا عليهم النشرات ووزعوا عليهم المطويات، حتى من لم يسلم منهم على الأقل ثارت الشبه في فهمه، أة على الأقل قانت عليه الحجة.
- زيارة الشباب في أماكن تجمعهم.
هناك أماكن يتجمع فيها الشباب مثل الشواطئ والأرصفة والمنتزهات (والاستراحات) يتجمع فيها جموع من الشباب أسنانهم متقاربة، هوايتهم متقاربة من إخواننا الذين نحبهم ونرثي لحالهم ونشفق عليهم إذا رأينا طول غفلتهم.
هذه الفئات من المجتمع تحتاج منا إلى اختراق، أن نخترقهم وأقول عن تجربة أننا وجدنا كثيرا منهم ذوي معادن ثمينة ولكن علاها الصدى، فما أن تحك الصدى عنها حتى يتكشف لك معدن ثمين.
فهل قمنا بواجب اختراقهم وزرناهم في أماكن تجمعهم،ى سلام وطيب كلام وإهداء كتيب أو شريط.
إن هذا العمل سيكون عبارة عن اختراق تجمعات لا زالت تنظر إلى الشباب الصالح على أنه فئة مُغلقة على نفسها.
- الاستفادة من العلاقات الاجتماعية.
فالعلاقات الاجتماعية (في مجتمعات المسلمين) متميزة فلكل منا أعمام وأخوال وأرحام وأصهار وأزواج بنات وأزواج أخوات، كل هؤلاء تشبكه بهم علاقات متشابكة.
هل استغللنا هذه العلاقات وهذا الوضع الاجتماعي المتميز فقمنا بمسؤولية النفرة، وكل منا يقول أنا أكفي الأمة الإسلامية أسرتي ومجتمعي، فأنتدب للضالين منهم فأنصحهم، والمنحرفين منهم فأقومهم.

وأنشر الهداية في بيوتاتهم.
- مراعاة أحوال الناس الدنيوية.
في (مجتمعات المسلمين) الذي توجد فيه قصور مترفة، وأموال تضيق بها البنوك، توجد فيه حالات ترفع إلى السماء حاجتها وعوزها.
يوجدون أين ؟ في الحارات الشعبية في المدن الكبيرة، في الشوارع الخلفية في بيوت تعبس جدرانها في وجوههم بالشقوق التي تنذرهم بقرب انهيار المسكن، ومع ذلك لا يخرجون منه رغم إنذار الجدران لهم بضرورة الخروج لأنهم لا يجدون مسكنا غيره.
يوجدون في البراري، أعراب يعيشون مع أبلهم وغنمهم يطعمونها كما يطعمون أبناءهم من جيبوهم.
يوجدون على الساحل الغربي في تهامة. من حدود اليمن إلى شمال المملكة.
حالات من الفقر والعوز لا ندري كيف توجد مثل هذه الصور في مجتمعات مترفة تنفق فيها الملايين في الترف المدمر وليس الترف المباح.
من ينتدب لهم؟ ينتدب لهم أصحاب الإيمان، أصحاب القلوب الرحيمة الذين ينشرون كتاب الله فيقرؤون:
(وتواصوا بالمرحمة) يقرؤون فيه: (أشداء على الكفار رحماء بينهم).
هل نفرت فئام من الشباب لمداواة هذه الجروح ولأمها؟ فكانوا رسل من أصحاب الموال الطيبة المباركة إلى أصحاب الحاجات يأسونها ويداوونها ويسدون هذه الخلة.
والله إنا لنخاف أن تحل بنا قارعة أو قريبا من دارنا إذا ارتفعت إلى السماء شكوى هؤلاء الفقراء في الوقت الذي ينغمس فيه أهل الترف في ترفهم وأهل اللهو في لهوهم وأهل اللذة في لذتهم وهم بيننا ويضاعف من محنتهم انهم فقراء في مجتمعات غنية.
- دور المرأة.
المرأة ينبغي أن تكون عونا لزوجها على طاعة الله، ينبغي أن تتحول البيوت إلى قلاع يكون للمرأة فيها دورها المؤثر، ولذلك قصص مشرقة في حياة الصحابة وحياة السلف يوم كان الرجل يخرج من بيته فتصحبه المرأة إلى الباب تودعه ببسمة وكلمة طيبة.
وليس الحال الآن – الله المستعان- يودع بقائمة من الطلبات ويستقبل بمجموعة من كتب الحسابات.
لا تودعه وهي توصيه بتقوى الله وتقول :
يا عبد الله اتقي الله فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام فلا تطعمنا إلا حلالا.
المرأة التي تكون عونا للزوج على طاعة الله
كما كنت أم سليم لأبي طلحة يوم مرض أبنها أبي عمير وهو فتى لطيف يحبه النبي (صلى الله عليه وسلم) ويداعبه بقوله: يا أبا عمير ما فعل النغير؟
فيبكي أبو عمير ويقول : مات يا رسول الله.
هذا الصبي مرض فانشغل به أبوه يسال عنه إن دخل قال ماذا فعل أبو عمير؟ وإن عاد من عمل قال ما فعل أبو عمير؟

فإذا بأبي عمير يموت وعنده أمة، إذا بهذه الأم المفجوعة تسجي أبنها ثم تعد الطعام لزوجها.
لا لم تعد الطعام فقط بل أعدت نفسها وتهيأت لزوجها.
جاء الزوج وسأل أول سؤال ما فعل أبو عمير؟
قالت هو اسكن ما كان، ولا حركة، فطمأن وقدمت له طعامه فأكل، فلما أكل وشبع أراد شيئا أخر فأصابه.
فلما انتهاء من هذا كله، تأتت له أحسن التأتي وقالت:
يا أبا طلحة ما تقول في أناس استعاروا عارية من جيرانهم، ثم جاءوا يطلبونها فأبوا ؟
قال سبحان الله لا يردون العارية.
قالت نعم لم يرضوا أن يردوا العارية.
قال لا يصير هذا ولا يمكن.
قالت إذا فأحتسب ابنك فهو عارية عندك وإن الله الذي وهبها قد استردها.
أم تعاني الفجيعة، والثكل ومع ذلك تكابد هذا كله، وتتأتى مع زوجها لتكون عونا له للصبر والاحتساب. أيها الأخت المسلمة:
هل تفقدتي زوجك في عمله لله ؟
هل كنتي عونا له على طاعة الله؟
هل سائلتيه قبل أن تسأليه عن طلبات المنزل وحاجات البيت عن عمله لله وماذا عمل؟
فكنتي عونا له على ذلك.
أيها الأحباب هذه نماذج وغيرها كثير، وكما قلت فهي بعدد أنفاسنا.
ومن العمل للدين أن تجلس تفكر ماذا أعمل للدين ؟
وتذهب وتسأل كيف أعمل للدين ؟
وتستشير ماذا تعمل للدين ؟ فهذا من العمل للدين.
أيها الأحباب:
إذا لم تستنفرنا هذه النماذج المشرقة من سير النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه وهم خير من قدم وأعطى، فخير من قدم وأعطى لمبدئه شباب محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأصحابه وأتباعه.
فينبغي أن يستثيرنا نفرت أهل الباطل إلى باطلهم، وحماس أهل الباطل لباطلهم.
اقرأ قصة لينين ودوره في إنشاء الجمهورية الشيوعية والكيان السوفيتي، عجب من العجب.
تعجب كيف عمل أهل الباطل لباطلهم.
انظر إلى عمل اليهود وتعصبهم وتكاتفهم، كل عملهم يصب في مصب واحد لإقامة دولة إسرائيل.
انظر إلى طلائع حسب البعث العربي الاشتراكي وكيف تربي طلائعها، حتى اللذة المحرمة التي هي جائزة عندهم لا يستطيعون الوصول إليها لأن الإنسان منهم مستغرق الوقت ومستنفذ الجهد للعمل للحزب وهو مبدأ أرضي لا ينتظر عليه جزاء يوم يلقى الله.

ألا يستنفرنا هذا لأن نعمل ونحن نجد اللذة في عملنا وننتظر الجزاء الأوفى يوم نلقى الله.
ألا يستنفرنا عمل أهل الدنيا لدنياهم، عمل أهل الملك لملكهم، أهل المال لمالهم، أهل الجاه لجاههم.
هذا العمل الذي جسده أبو الطيب يوم قال:
أُطاعن خيلا من فوارسها الدهر.....وحيدا وما قولي كذا ومعي الصبر
وأشجع مني كل يومٍ سلامتي.....وما ثبتت إلا وفي نفسها أمرُ
تمرست بالآفات حتى تركتها.....تقول أمات الموت أم ذعر الذعرُ
وأقدمت إقدام الأتي كأن لي.....سوى مهجتي أو كان لي عندها وترُ
فتى لا يضم القلب همّات قلبه.....ولو ضمه قلب لما ضمه صدر
همات، لماذا ؟ لملك أو جاه أو مأرب دنيوي.
هذا العمل ينبغي أيها الأحباب أن يستثيرنا، ويستثيرنا معه أيضا استشعارنا حاجة الأمة للعمل للدين.
إن الدعاة والعلماء اليوم أصبحوا في وضع من المتأكد إن لم يكن من المتعين عليهم أن ينفروا إلى أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) يبثون فيها ميراثه، ولا يسع أحدا عالما أو داعية أو أي مسلما كائنا من كان أن يتذرع بعذر أو يتحجج بحجة، ليتحلل من العهد الذي أخذه الله على أهل العلم، والمسلمين أن يبينونه للناس ولا يكتمونه.
ولا يملك أحدا ولا يسعه أن يحول بين عالم أو داعية وبين بلاغات رسالات الله.
بل لا يسع داعية أن يقدم قول أحد أو أمره على أمر محمد (صلى الله عليه وسلم). يوم قال:
(بلغوا عني ولو آية).
إن العمل للدين ليس وظيفة تصدر برقم وتاريخ ولكنه صدرت بمرسوم رباني كريم برقم 125 من سورة النحل. (ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظةِ الحسنةِ وجادلهم بالتي هي أحسن).

إن العمل للدين ينبغي أن يبقى ظاهرا في حياتنا تراه:
في شاب يوزع شريطا أو كتابا.
تراه في شاب يبلغ كلمة.
تراه في موقف يعلن إنكار منكر.
تراه هنا وهنا وهناك.
إن العمل للدين أمر لا نستخفي به ولا نتستر عليه، بل ينبغي أن تبقى ساحتنا ساحة فوارة بالعمل الضخم للدين تراه في كل فلته وفي كل لفتة.
تراه في برنامج كل شاب.
تراه في برنامج كل مسلم.
أقول قولي هذا وأسأل الله جل جلاله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه هل طاعته حتى لا يكون حد أعزا منهم.
ويذل فيه أهل معصيته حتى لا يكون أحد أذل منهم.
وترفع فيه كلمة الحق حتى لا تكون كلمة أعلى منها، وتقهر فيه كلمة الباطل حتى يخزى بها أهلها وتبقى حبيسة في صدور أصحابه، وحتى تقال كلمة الحق

في كل مجمع وفي كل محفل وعى كل منبر وفي كل منتدى لا يخشى قائلها في الله لومة لائم.
أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم وصلى الله وسلم وبارك على النبي وآله وسلم تسليما كثيرا.
.....
الخاتمة لفضيلة الشيخ / عائض بن عبد الله القرني.
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.
ليس لهذا الشيخ عندنا إلا أن نشيعه بالحب، وأن ندشنه بالدعاء، وأن نلاحقه بالثناء.
فأسال الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، أساله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يحفظ هذا الشيخ وأن يحوطه بعنايته.
وأن يصلح منه الظاهر والباطن.
وأن يتقبله في من تقبل.
وأن يرفع ذكره في العالمين وأن يجعله من أتباع سيد المرسلين.
وأن يبيض وجهه يوم العرض الأكبر يوم تبيض وجوه وتسود وجه.
أجزل الله مثوبته ورفع قدره وشرح له صدره وغفر ذنبه.
.....

**** العمل للدين واجب الجميع ****

أنذرتكم النار

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ذي العز المجيد، والبطش الشديد، المبدأ المعيد، الفعال لما يريد، المنتقم ممن عصاه بالنار بعد الإنذار بها والوعيد، والمكرم لمن خافه واتقاه بدار لهم فيها من كل خير مزيد.
فسبحان من قسم خلقه بين شقي وسعيد:
(من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد).
أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا كفئ ولا عدل ولا ند ولا نديد.
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه) صلاة وسلام لا تنفذ ولا تبيد.
يا رب طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب.
يا رب، نشكو إليك قسوة قلوبنا، وغفلة نفوسنا، وتقصيرنا في طاعتك، وغفلتنا عن ذكرك.
يا رب اجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك، ولا تجعلنا ممن نسوك فنسيتهم.
أما بعد عباد الله:
اتقوا الله حق التقوى.
أيها الأخوة في الله، لقد قست القلوب فهي ما بين شواغل الدنيا وصوادفها وملهياتها.
ثم إذا أفاقت فإذا هي تفيق إلى نكبات وهموم وغموم تتجاذبها، فإذا حديث الرقائق والرغائب.
إذا الحديث المخّوف والحديث المرقق غريب عن القلوب،
غريب على الآذان، قل ما تنصت إليه وقل ما تسمعه.
كم كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتعاهد أصحابه بمواعظ توجل منها القلوب، وتذرف منه العيون، وترتعد منها الفرائض.
يقف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخطب أصحابه بكلمات قليلات يسيرات مباركات.
فيقول لهم أيها الناس:
(أريت الجنة والنار فلم أرى كاليوم في الخير والشر، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله).
فما أن يتتام هذا الكلام من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى يخفض الصحابة رؤوسهم، ويكبوا بوجوههم ولهم ضجيج وخنين بالبكاء.
أما إن نفوسنا بحاجة إلى أن نوردها المواعظ والنذر، ونذكرها بما خوف الله به عباده، وحذرهم منه، وقد حذر المولى جل وعلا وأنذر.
حذر عباده أشد التحذير وأنذرهم غاية الإنذار من عذاب النار ومن دار الخزي والبوار فقال المولى جل جلاله وتقدست أسمائه:
(فأنذرتكم نارا تلظى).
وقال: (إنها لإحدى الكبر، نذيرا للبشر).
فو الله ما أنذر العباد وخوفهم بشيء قط هو أشد وأدهى من النار.

وصف لهم حرها ولظاها،
وصف لهم طعامها وشرابها،
وصف أغلالها ونكالها،
وصف حميمها وغساقها،
وصف أصفادها وسرابيلها.
وصف ذلك كله حتى إن من يقرأ القرآن بقلب حاضر، ويسمع وصف جهنم فكأنما أقيم على شفيرها فهو
يراها يحطم بعضها بعضا، كأنما يرى أهل النار يتقلبون في دركاتها، ويجرجرون في أوديتها.
كل ذلك من المولى جل وعلا إنذار وتحذير.
وكذا خوف نبينا (صلى الله عليه وسلم) من النار وحذر وأنذر، وتوعد وحذر، وكان (صلى الله عليه وسلم) شديد الإنذار شديد التحذير من النار.
وقف (صلى الله عليه وسلم) على منبره فجعل ينادي ويقول:
(أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار)..
وعلا صوته (صلى الله عليه وسلم) حتى سمعه أهل السوق جميعا، وحتى وقعت خليصة كانت على كتفيه (صلى الله عليه وسلم)، فوقعت عند رجليه من شدة تأثره وانفعاله بما يقول عليه الصلاة والسلام.
وقال (صلوات الله وسلامه عليه):
(أنا آخذ بحجزكم عن النار، أقول إياكم وجهنمَ والحدود، إياكم وجهنم والحدود، إياكم وجهنم والحدود).
فهو (صلى الله عليه وسلم) أخذ بحجز أمته يقول إياكم عن النار، هلم عن النار وهم يعصونه ويتقحمونها.
أيها الأخوة في الله:
ثم أصبح الحديث عن النار وعذابها حديث خافتا لا تكاد تتحرك به الألسنة.
ولا تستشعره القلوب.
ولا تذرف له العيون.
حديثا غريبا عن المسامع، بعيدا عن النفوس.
مع أن ربنا جل جلاله قد ذكّرنا بها غاية التذكير، وحذرنا منها أعظم التحذير.
ألا فلنُشعر القلوب بشيء من أحوالها، ولنذكّر النفوس بشيء من أهوالها، عسى قسوة من قلوبنا تلين، وغفلة من نفوسنا تُفيق.
فإن سألت عن النار ؟
فقد سألت عن دار مهولة، وعذاب شديد.
إن سألت عن حرّها وعن قعرها وحميمها وزقومها وأصفادها وأغلالها وعذابها وأهوالها وحال أهلها؟
فما ظنك بحر نار أوقد عليها آلف عام حتى احمرت.
ثم أوقد عليها آلف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها آلف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة.
ما ضننا بحر نار نارنا هذه التي نوقدها جزء واحد من سبعين جزء من نار الآخرة.
أما بُعد قعرها:

فما ظننا بقعر نار يلقى الحجر العظيم من شفيرها فيهوي فيها سبعين سنة لا يدرك قعرها، والله لتملأن والله لتملأن والله لتملأن.
أما طعامها وشرابها ؟ فأستمع إلى قول خالقها والمتوعد بعذابها:
(إن شجرة الزقوم طعام الأثيم، كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم).
وقوله:
(أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ، إنا جعلنها فتنة للظالمين، إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين، فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ، ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ، ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم).
أما شرابها، فأستمع إلى ما يقول ربنا وخالقنا:
(وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا).
فهذا الطعام: (ذا غصة وعذابا أليما).
وهذا الشراب : (من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد، يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ).
يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) في بيان حال طعام أهل النار:
(لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم).
فكيف بمن تكون طعامه؟؟، فكيف بمن تكون طعامه. ؟؟
يلقى على أهل النار الجوع فإذا استغاثوا أغيثوا بشجر الزقوم.
فإذا أكلوه غلى في بطونهم كغلي الحميم، فيستسقون فيُسقون بماء حميم إذا أدناه إلى وجهه شوى وجهه، فإذا شربه قطع أمعائه حتى يخرج من دبره:
(وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم).
أما سلاسلها وأغلالها فأستمع إلى وصفها:
(ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه).
(فيأخذ بالنواصي والأقدام).
أي أن ناصية رأسه تجمع إلى قدميه من وراء ظهره.
ينشأ الله لأهل النار سحابة سوداء مظلمة، فيقال لهم يا أهل النار أي شيء تطلبون ؟
فيقولون الشراب، فيستسقون.
فتمطرهم تلك السحابة السوداء أغلالا تزيد في أغلالهم، وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمرا يتلهب عليهم.
أما عذاب أهل النار وكل ما مضى من عذابها ؟
فما ظنك بعذاب دار أهون أهلها عذابا من كـان له نعلان يغلي منهما دماغه، ما يرى أن أحداً أشد منه عذابا، وإنه لأهونهم.
أما حال أهلها فشر حال وهوانهم أعظم هوان وعذابهم أشد عذاب ؟
ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين آلف سنة، لم يأكلوا فيها أكلة، ولم يشربوا فيها شربة، حتى انقطعت أعناقهم عطشا، واحترقت أكبادهم جوعا.
ثم أنصرف بهم بعد ذلك إلى النار، فيسقون من عين آنية قد أذى حرها وأشتد نضجها.

فلو رأيتهم وقد أسكنوا دارا ضيقت الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك.
قد شدت أقدامهم إلى النواصي، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي.
يسحبون فيها على وجوههم مغلولين.
النار من فوقهم، النار من تحتهم، النار عن أيمانهم، النار عن شمائلهم :
(لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين).
فغطائهم من نار وطعامهم من نار، وشرابهم من نار ولباسهم من نار، ومهادهم من نار.
فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع، وجر السلاسل يتجلجلون في أوديتها، ويتحطمون في دركاتها، ويضطربون بين غواشيها.
تغلي بهم كغلي القدور وهم يهتفون بالويل ويدعون بالثبور:
(يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق).
يتفجر الصديد من أفواههم، وتتقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود عيونهم وأهدابهم.
(كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب).
أمانيهم فيها الهلاك ومالهم من أسرها فكاك.
فما حال دار أماني أهلها إذا تمنوا فيها الموت ؟
ما حال دار أماني أهلها إذا تمنوا فيها أن يموتوا ؟
كيف بك إذ رأيتهم وقد اسودت وجوههم فهي أشد سوادا من الحمم.
وعميت أبصارهم، وابكمت ألسنتهم، وقصمت ظهورهم، ومزقت جلودهم، وغلت أيديهم إلى أعناقهم، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم، يمشون على النار بوجوههم ويطئون حسك الحديد بإحداقهم.
ينادون من أكنافها ويصيحون من أقطارها:
(يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك قد تفتت من الكبود، يا مالك العدم خير من هذا الوجود).
فيجيبهم بعد آلف عام بأشد وأقسى خطاب وأغلظ جواب:
(إنكم ماكثون).
فينادون ربهم وقد أشتد بكائهم وعلا صياحهم وارتفع صراخهم:
(قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون).
فلا يجيبهم الجبار جل جلاله إلا بعد سنين، فيجيبه بتوبيخ أشد من العذاب :
(اخسئوا فيها ولا تكلمون).
فعند ذلك أطبقت عليهم النار وغلقت فيئس القوم بعد تلك الكلمة أيما إياس، فتزداد حسراتهم وتنقطع أصواتهم، فلا يسمع لهم إلا الأنين والزفير والشهيق والبكاء.
يبكون على تضييع أوقات الشباب.
ويتأسفون أسفا أعظم من المصاب.
ولكن هيهات هيهات، ذهب العمل وجاء العقاب.
لقد خاب من أولاد أدم من مشى إلى النار مغلول القيادة أزرقا

يساق إلى نار الجحيم مسربلا سرابيل قطران لباسا محرقا
إذا شربوا منها الصديد رأيتهم يذوبون من حر الصديد تمزقا
ويزيدهم عذابهم شدة، وحسرتهم حسرة تذكرهم ماذا فاتهم بدخول النار.
لقد فاتهم دخول الجنان، ورؤية وجه الرحمن، ورضوان رب الأرض والسماء جل جلاله.
ويزيد حسرتهم حسرة، وألمهم ألما أن هذا العذاب الأليم والهوان المقيم ثمن اشتروه للذة فانية، وشهوة ذاهبة، لقد باعوا جنة عرضها السماوات والأرض بثمن بخس دراهم معدودة.
بشهوات تمتعوا بها في الدنيا ثم ذهبت وذهبوا فكأنها وكأنهم ما كانوا وما كانت.
ثم لقوا عذابا طويلا، وهوان مقيما.
فعياذا بالله من نار هذه حالها.
وعياذا بالله من عمل هذه عاقبته.
اللهم إنه لا طاقة لنا بعقابك، ولا صبر لنا على عذابك.
اللهم فأجرنا وأعتقنا من نارك.
(ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما، إنها ساءت مستقرا ومقاما).

**** أنذرتكم النار ****

حقيقة الإرهاب

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي بفضله اهتدى المهتدون، وبعدله ضل الضالون، لا يُسأل عن ما يفعل وهم يسألون.
لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، وإذا قضى شيئا فإنما يقول له كن فيكون.
أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أنزهه بها عن ما يقول المبطلون، وأعظمه بها عن ما يقول المشركون.
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته واهتدى بهداه).
أما بعد أيها الناس اتقوا الله حق التقوى.
(قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).
(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ).
هكذا أختار الله لهذه الأمة منهجها، وبين لها طريقها:
صراط مستقيم فلا عوج.
أمة وسط فلا انحراف.
وسط في التصور والاعتقاد.
وسط في العبادة والنسك.
وسط في الأخلاق والسلوك.
وسط في الارتباطات والعلاقات.
بل وسط في الزمان والمكان.
(صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) .
جعلها الله على الجادة الوسط التي تصلح لهذه الأمة، وتصلح بها هذه الأمة.
وإن التزحزح عن هذا المنهج افترى على الله في حكمه، واستدراك عليه جل وعلا في شرعه:
(أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ).
إنه جنوح عن الوسط إلى الطرف، بكل ما في الطرف من وعورة، وبكل ما في الطرف من انحراف وبكل ما في التطرف من شدة ورهق.
ولأن كانت الأمة قد عايشت صورا من التطرف في عصور سلفت فإن أشد أنواع التطرف ما عاشته الأمة في عهودها وعقودها هذه الأخيرة حيث تطرف التطرف إلى طرف الطرف.
ولأن كانت الضوضاء قد علت وعلا ضجيجها عن التطرف أخيرا فإن وجود التطرف حقيقة لا مرية فيها ولكن قبل ذلك!
إن التطرف سابق للضجة التي أثيرت حوله بكثير، عانت الأمة من التطرف، وعانت من ثمار التطرف، فإن التطرف شجرة خبيثة، إذا نمت، نمت معها أشواكها الحادة، ومن أشواكها الحادة الإرهاب، فالإرهاب أبن شرعي للتطرف، وأحد ثماره المرة.

وجد التطرف في حياة الأمة ليس منذ سنين ولكن منذ عقود، وجد التطرف يوم زحزحت الأمة عن الوسط الذي اختاره الله لها، فزحزحت إلى حفر التطرف، فألبست ثيابا وانحلت نحلا.
ألبست ثياب الاشتراكية حينا من الدهر، وظلمت بقوانين الإصلاح الزراعي، بل فرضت الشيوعية كإيديولوجية عقدية، وليس كمسألة اقتصادية.
وجد التطرف فسرت الدعوات الكفرية من خلال أجهزة الإعلام الرسمية لبعض الدول.
فمثلاً
يكتب كاتب إباحي في الستينات إبان الحمى الاشتراكية مقالة بعنوان (اشتراكية الأسرة)، وكانت دعوة مزدكية إلى الإباحية، وفي صحيفة رسمية، حتى إذا ما نشرت هذه الوقاحة رد عليها أحد العلماء الأعلام ردا علم رصينا غار فيه للحق ولله عز وجل، فرد عليه ذلك الكاتب السافل بمقالة ساخرة جعل عنوانها (يا شيخ!!).
وفي بلد آخر، وليس إسلاميا فقط بل هو عقر دار الإسلام يصدر الدستور وليس فيه النص على أن دين الدولة الإسلام، ولا على اشتراط الإسلام دينا لرئيس الدولة.
ويكتب بعثي زنديق في مجلة الجيش الرسمية التي توزع على كل أفراد الجيش بالمجان مقالة إلحادية يقول فيها: (إن الله والعادات والتقاليد تماثيل يجب أن تدخل متحف التاريخ).
وفي بلد من بلدان الشمال الأفريقي تخطف ثمرة جهاد سنين ودماء مليون مجاهد ضد الاستعمار الفرنسي، تقطف ليكون بدلا منها الكفر الاشتراكي، وأما العلماء الذين قادوا مسيرة الجهاد فيقضون تحت الإقامة الجبرية، كالشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ عبد الطيف سلطاني وغيرهم رحمهم الله.
بل يصل التطرف غايته حينما يطل رئيس دولة من شاشة التلفاز وهو يشرب الماء في نهار رمضان، ويدعو على الفطر في رمضان بحجة أن الصيام يضر بالإنتاج الاقتصادي للبلد.
والصور من هذا النوع - وإلى الله المشتكى- كثيرة وموجودة في وعي كل من رصد الفترة الماضية.

أليس هذا هو التطرف بأبشع صوره ؟ أليس هذا هو التطرف بأقبح الصور ؟
بلا... ولكن لم يدن لأنه تطرف مؤسسي تحميه القوة وتفرضه السلطة، وهذا التطرف ما كان له أن ينبت بدون أن يؤتي ثمرته المرة وأن ينبت أشواكه الحادة وهي الإرهاب.
فصحب الإرهاب هذا التطرف، فقد مارس كل هؤلاء المتطرفون أبشع أنواع الإرهاب لأن مقولة : (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى)لا تبقى إلا تحت ظل (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ).
شهدت الخمسينات والستينات أبشع أنواع التعذيب في سجون اللومان، وطره، والحربي، والقلعة، ودفن رفات الصالحين والعلماء والدعاة في سفوح جبل المقطم.

وفي بلد آخر دكت مدينة على أهلها ليموت تحت أنقاضها أزيد من عشرين ألفا.
في بلد ثوري يعدم الشباب الصالح في ملعب كرة القدم ساعة الإفطار، يعدمون في بين من اللجان الثورية على أن هؤلاء هم الكلاب الضالة.
في بلد آخر يحشر الآلاف في مخيمات في الصحراء الكبرى جنوب ذلك البلد، يحشرون لأنهم اختاروا الإسلام خيارا، حتى إن منظمة العفو الدولية، ومنظمات حقوق الإنسان تستنكر الظروف التي يعيشون فيها.
إلى غير ذلك من مآسي إرهاب الأنظمة، تلك الأنظمة التي مارست التطرف ثم مارست تلوا الإرهاب، ولكن ذلك الإرهاب لم يدن لأنه إرهاب مؤسسي تمارسه السلطة وتحميه القوة.
ولأن لكل فعل ردة فعل مساوية في القوة معاكسة في الاتجاه فقد نبتت في بعض البلاد اتجاهات دينية متطرفة كونها العذاب داخل السجون، ترعرعت وراء القضبان، ثم تحدد فكرها وظهر أثرها، حين إذ فقط ارتفع الضجيج ضد التطرف وضد الإرهاب.
وبدأ المنظرون ينظرون، والمحرضون يحرضون، وتناسى كثيرون، تناسوا حقائق مهمة ينبغي أن لا تغيب في معالجة هذه القضية.
تناست معالجات كثيرة التطرف الذي تتبناه دول، والإرهاب الذي تمارسه الأنظمة الثورية فتسحق به الشعوب، وعندما يحصل التطرف المضاد يبدأ الحديث عنه فقط، بينما التطرف الأصل، والإرهاب الأصل، يبرر بل يشجع.
تتناسى تلك المعالجات حدود المواضيع، فنرى بعض الأقلام المغرضة تعبر من الحديث عن نقد التطرف الديني إلى نقد الدين ذاته، وتعبر من نقد بعض الجماعات المتطرفة إلى نقد الصحوة الدينية بعامة.
وكل ذلك من التلبيس وخلط الأوراق، والكيد داخل تلك المعالجات، تتناسى تلك الكتابات الأسباب الحقيقة للتطرف، وتطرح أسباب ساذجة بل سامجة، كأن تطرح أن من أسباب التطرف الوضع الاقتصادي، أو الكبت الجنسي، أي والله الكبت الجنسي.
ولا تطرح بعد ذلك من وسائل العلاج إلا المطالبة بالمزيد من الكبت والقهر، ومصادرة الحريات، وخنق الأنفاس وتكريس الردة عن الدين.

لماذا لا تتذكر تلك الكتابات أن من أهم أسباب التطرف:
أن يطلق العنان في أرض الإسلام لدعاة العلمانية والاشتراكية واللبرالية وغيرها من المذاهب، يطلق لها العنان ويسمح لها بتكوين الأحزاب وتكوين التنظيمات وإنشاء المنظمات وإصدار الصحف والمجلات وإنشاء الدوريات.
يسمح لها بذلك كله ويفرض الحضر على الإسلام وحده وهو صاحب الدار، وتوضع الكمائم على أفواه دعاته وحدهم وهم المعبرون عن سواد الشعب:
أحرام على بلابله الدوح ..... حلال للطير من كل جنس
كل دار أحق بالأهل إلا ..... في خبيث من المذاهب رجس
وقد يسمح للإسلام أحيانا، ولكن أي إسلام يسمح له!
الإسلام المدجن، إسلام الموالد والمآتم، إسلام الدروشة والبدع.
لماذا يتناسى المتحدثون عن التطرف، لماذا يتناسون التطرف العلماني؟

وأمثلته كثيرة منها:
ما نراه في الصحف الخليجية مثلا من إسفاف هابط في الحديث عن الصحوة وشبابها.
خذ مثلا:
ما نشر في صحيفة خليجية حيث نشرت في أحد أعدادها مقالة قالت فيها: (أحذركم من الذي يواظب على الصلوات الخمس، وهو يغتسل من جنابة الزنى في حمام المسجد).
خذ من أمثلة ذلك:
دعوة غلاة العلمانيين إلى منع البرامج الدينية في الإذاعة والتلفاز، بل منعهم الآذان في مكبرات الصوت بحجة إزعاجه للآخرين.
بل دعوتهم إلى ما يسمى بتجفيف المنابع، وذلك بقطع كل أسباب التدين لأن كل متدين صغير سيصبح متطرفا كبيرا بعد ذلك، إذا فلترفع المواد الدينية من مناهج التعليم، ولترفع البرامج الدينية من أجهزة الإعلام حتى لا تنشأ لنا متدينين يتحولون إلى متطرفين.
خذ مثالا آخر:
ما كتبه أحد غلاة العلمانية، فقد قال بتبجح في مقابلة صحفية معه (أنا كنت الوحيد الذي تصدى لمسألة تطبيق الشريعة، ورفضت هذه الدعوة يوم سكت غيري). هذا الوقح قال في آخر مقال نشر له قبل هلاكه بيومين:
(يا وزير الصحة مطلوب منك أن ترد على ما طالبتك به في مقال سابق).
فمالذي طالب به وزير الصحة في مقال سابق؟ استمع إلى المطالبة:
(يا وزير الصحة مطلوب منك أن ترد على ما طالبتك به في مقال سابق بدعم المهدءات الجنسية، ولم ترد علي، وعدم استجابتك هذه المرة تهدد الأمن القومي، الأمن القومي مهدد، الإرهاب يزيد، التطرف يشتد، الحل في يدك يا وزير الصحة).
أي أن علاج التطرف والإرهاب هو بالمهدئات الجنسية، وهؤلاء المتطرفون الدينيون هم قوم مثارون جنسيا، فلتدعم المهدئات الجنسية لهم.
وقد هلك هذا الكاتب فعلا الضجيج وعلت الضوضاء، وارتفع الصياح ينادي ما هذا الإرهاب؟ لماذا لا تقارع الحجة بالحجة؟ لماذا لا يواجه الرأي بالرأي؟
وأجيبوني بربكم أي حجة يمكن أن يرد بها على هذا الكلام!
أي رأي موجود في هذه السماجة!
كيف يمكن أن تناقش إنسانا يتهمك فيقول أنت حمار، فهل ستقف لترد عليه بنقاط محددة تثبت فيها أنك إنسان، هل وجدنا في قوله حجة حتى يرد عليها بحجة، هل هناك فكرة حتى تفند بفكرة.
وتذكرت موقفا شبيها ولكن على الضفة الأخرى، أصدر الأستاذ سيد قطب رحمه الله كتابه (معالم في الطريق)، فحوكم ثم أعدم، فلم يقل أحد لماذا لم تواجه الحجة بالحجة، ولماذا لم تنقد الفكرة بالفكرة، ولماذا يكون ثمن كتاب رقبة تشنق؟
ولكن عندما يهلك كتاب من هذا النوع تظهر المناداة بهذا الأسلوب.

ألا إن هذا التصرف الذي حصل تصرف يدان ولا يرضى، ولكن ينبغي أن يبحث عن أسبابه، وأن يناقش الموضوع بموضوعية، لا أن يناقش بعين حولا تكيل بمكيالين.
لماذا يُتحدث عن التطرف والإرهاب، ثم يتناسى المتحدثون الغيرة في قلوب المؤمنين؟
إن في قلوب المسلمين من محبة الله ورسوله ما يملأ صدورهم غيرة وحمية لدينه وآياته وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم). ولا يقر لهم قرار ولا يهدأ لهم بال وهم يرون من يعبث بدينهم ويسخر بمسلمات عقيدتهم.
وإنه لا يصلح أن يساهم في علاج هذه الظاهرة من لم يتذوق هذه الغيرة ولم يشم لها رائحة، بل لعله لم يسجد لله سجدة.
إنه يتلقى سخرية المستهزئين بدين الإسلام لا أقول بهدوء ولكن بتميع ولا مبالاة، يفتقد هذا الهدوء ويفتقد هذه ألا مبالاة ويفقد توازنه حينما تمس أموره الشخصية، لماذا ؟
لأنه رب الإبل وللبيت رب يحميه.
إن هذه النوعية لا تصلح أن تعالج موضوع التطرف والإرهاب.
لقد أنبرا عدد من العلماء والباحثين فعالجوا مشكلة التطرف ومشكلة الإرهاب الناتج عنها، عالجوه بأسلوب موضوعي هادى رزين، بحث عن المشاكل الحقيقية، وطرح نقاط العلاج الواضحة، وتتبع جذور المشكلة وذلك في مثل كتاب:
(الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف)، وفي مثل البحث الكبير (الغلو في الدين).
إن مثل هذه الدراسات الجادة المنصفة الباحثة عن الأسباب، المتعمقة في تتبع الجذور، ثم الطارحة على ضوئها علاج تلك المشكلة هي التي ينبغي أن يرجع إليها عند الحديث عن هذا الموضوع.
ولابد من الإشارة بعد هذا كله إلى أهمية الصلة الوثيقة بين الشباب والعلماء، فإليهم يرجعون ومنهم يأخذون، وبتسديدهم يسترشدون، وإن لحمة الشباب بالعلماء عصمة للأمة من أن تدب إليها أفكار نشاز أو أن تنحرف إلى مقولات جانحة.
وإن هذا من الأسباب التي ينبغي أن يعتنى بها وتكرس وذلك لتوثيق الصلة بين الشباب والعلماء، وسيظل الشباب ملتفون غاية الالتـفات بالعلماء مادام لهم بالعلماء ثقة، مادام العلماء ينطقون بهمومهم، يعبرون عن مشاكلهم، يتحمسون لقضاياهم ويعانون معاناتهم.
اللهم إنا نسألك أن تصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا.
وأن تصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا.
وأن تصلح لنا أخرتنا التي إليها معادنا.
وأن تجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر.
وأن تغفر لنا وترحمنا إنك أنت الغفور الرحيم.
الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا غله غلا الله تعظيم لشأنه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه (صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه وسلم تسليما كثيرا).

أما بعد أيها الناس: اتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، وأعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة في النار.
واعلموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فقال جل وعلا:
(إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) .
اللهم صلي وسلم وبارك أطيب صلاة وبركة على نبيك محمد النبي الصادق الأمين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وخلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر الصحابة أجمعين.
اللهم أرضى عن أصحاب نبيك وأرضهم، اللهم ألعن من لعنهم وعادي من عادهم وتولنا في من تولاهم، اللهم اسلك بنا سبيلهم واحشرنا في زمرتهم.
اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين وأحمي حوزة الدين، وأجعل بلدنا هذا آمنا مطمئنا يأمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، وتقال فيه كلمة الحق لا يخشى قائلها في الله لومة لائم وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين.
اللهم أصلح أحوال المسلمين، اللهم أصلح عقائدهم، وأصلح ولاتهم وعلمائهم وشبابهم ونسائهم وذراريهم وتولهم في كل أمورهم.
اللهم أنصر المجاهدين في سبيلك، اللهم أجعل عاقبة جهادهم نصرا قريبا، وفتحا مبينا.
اللهم عليك بكل عدو للإسلام.
اللهم عليك بإخوان القردة والخنازير.
اللهم عليك بالصرب الصليبيين.
اللهم عليك بالرافضة الكائدين، اللهم أشدد عليهم جميعا وطأتك، وانزع عنهم عافيتك، وأنزل عليهم نقمتك، ومزقهم كل ممزق، يا رب العالمين.
ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.
سبحان ربك رب العزة عن ما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

**** حقيقة الإرهاب ****

يا أمة الإسلام

الحمدُ لله ما تعاقبةِ الليالي والأيام، الحمد لله عدد الشهورِ والأعوام الحمد لله ما فرِح صائمُ بصيام، وأفطر مفطرُ لتمام وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له جل عن الشبيه والنظير لا تدركُه الأبصارُ وهو يدركُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبير، شهد أن محمدا عبدُه ورسولُه وأمينُه على وحيهِ وخيرتُه من خلقِه وسفيرُه بيُنه وبين عباده، المبعوثُ بالدينِ القويمِ والمنهجِ المستقيم، أرسله الله رحمةً للعالمينَ وإماما للمتقينَ وحجةً على الخلائقِ أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، اللهُ أكبرُ عددَ ما صام صائمُ وأفطر، الله أكبرُ عدد ما هلل مهللُ وكبر، الله أكبر ما هل هلالُ عيدٍ وأقمر، وطلع فجرُ وأسفر، وأبعن غصنُ وأثمر، سبحان من سبحت له السماواتُ وأملاكُها، والنجومُ وأفلاكُها والأرضُ وسكانُها والبحارُ وحيتانُها، والنجومُ والجبالُ والشجرُ الدواب، وكلُ رطبٍ ويابس، وكلُ حيٍ وميت:
(تسبحُ له السماواتُ السبعُ والأرضُ ومن فيهن)
(وإن من شيء إلا يسبحُ بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحَهم، إنه كان حليما غفورا) أيها المسلمون: أيها المسلمون، إنكم في يومٍ تبسمتم لكم فيه الدنيا، أرضُها وسمائُها شمسُها وضيائُها، أنتم في يومِ فرحٍ وسرورٍ وساعاتٍ كطاقات الزهور. صمتم لله ثلاثينَ يوما، وقمتم لله ثلاثين ليله، ثم جئتم اليومَ تسألون اللهَ الرضى والقبول، وتحمدَونه على الإنعام بالتمام. فالحمد لله الذي بنعمتِه تتم الصالحات، الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله:
(قل فبفضل الله وبرحمته، فبذلك فليفرحوا هو خيرُ مما يجمعون). هذا يومُ يفطرُ المسلمون، هذا يومُ يفرحُ المؤمنون، هذا يومُ تكملوا العدةَ وتكبروا اللهَ على ما هداكم ولعلكم تشكرون. فبارك الله لكم عيدَكم يا أمة الإسلام يا خيرَ أمةٍ أخرجت للناس:
(كنتم خيرَ أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكرِ وتأمنون بالله..) هذه حقيقةِ الأمة وقيمتُها، هذه رُتبتها ومكانتها، أمةُ أخرجت لتكونَ لها الريادة، ولها القيادة، أمةُ أخرجت لتكونَ طليعةً للأمم شهيدةً على الأمم:
(وكذلك جعلناكم أمةً وسطاء لتكونوا شهداء على الناس..) أمةُ لها دورُ خاص، ومقامُ خاص ولها على ذلك حسابُ خاص، أمةُ لها مركزُ القيادةِ الذي لا يأخذُ إدعاءَ، ولا يسلّم إلا لمن يكونُ لهُ أهلا، ولهذا المركزِ تبعاتُه وله واجباتُه. هذه أمتُكم يا أهل الإسلام. الأمة التي جعلها اللهُ خاتمةَ الأمم، كما جعل رسولَها خاتم الرسل، وجعلها شهيدةً على الناس ناطقةً بالكتاب، وارثةً للحق خليفةً في الأرض.

هذه أمتُكم الأمةُ الخالدة، الأمةُ الوسط، أمةُ أحمديةَ الملة، عُمريةَ الحكم، صلاحيةُ الجهاد، دستوُرها؛ كتابُ الله، إمامُها؛ حبيبُه، قبلتُها؛ بيتُه، مآبها؛ جنتُه. هذه أمتُكم يا أهل الإسلام. جعلها اللهُ شامةً في جبين الزمان، جعلها خير أمةٍ أخرجت للإنسان، كلام شهدائها بلا تُرجمان، قاتلت معها الملائكةُ يومَ التقى الجمعان. هذه أمتُكم، الأمةُ التي لم يجعلِ اللهُ لها نهجا ولا سمتا إلا الإسلام، أمةُ لم يجعلِ الله لها رسما ولا اسما إلا الإسلام:

(هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملةَ أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا). أمةَ الإسلام، أهل القرآن، أهل الإيمان: وحينما نكونُ في عيدنا هذا أمةً واعيةً لا يحولُ احتفائها بأيامِها السعيدة، وأعيادِها المجيدة عن مراجعةِ ذاتِها وتفقُدها لحالِها، ننظرُ في الأمةِ أين هيَ؟ أين هيَ من هذه المكانة التي لا تصلحُ إلا لها؟ أين هي والمهمة التي لا تقومُ إلا بها؟ أين هي أمتُنا بين الأمم؟ مكانتُها وقيمتُها، دورُها ومهمتُها؟ إن حال الأمةِ اليوم هي الحالُ التي يُرثى لها، فلا ضعفُ المسلمينَ ووهنُهم مما يُرضي الإسلام، ولا هوانُ المسلمينَ على أعدائِهم حتى أصبحت دمائُهم بالمجان مما يُرضي الإسلام، ولا قيامُ دويلةِ إسرائيل في عقرِ دار المسلمينَ مما يُرضي الإسلام، ولا أكلُ الأعداءِ لديارِ المسلمين من حواشيها يُرضي الإسلام، ولا التجزئةُ والتفتتُ الذي عليه الأمة يُرضي الإسلام، ولا التغّربُ الفكري والحضاري ولا التبعيةُ الاقتصاديةُ والسياسيةُ يرضى بها الإسلام. ألا إن الآمر الأمر والخطرَ الأخطر:

هو تحطمُ البناءَ النفسي لإنسان حتى تركزت فيه القابليةُ للهوان، وفقد دورَه الريادي، بل تشكلت مفاهيمُ فكرية تفلسفُ هذا الواقع الذي فقد الريادةَ بل فقد الإرادة. وصلت الأمةُ إلى هذا الوضع بعد أن جربت مُختلفَ الشعارات فارتفعت البراقعُ الكاذبة عن تلك الاتجاهات التي أردتها زيتونةً شرقيةً أو غربية، مالت بها يميناً ويسارا. ومر على وعي الأمةَ وجسم الأمة ألوانُ من الطروحاتِ والانقلابات والثورات والزعامات ثم توالتَ الهزائمُ والنكبات. لقد كبرت أزمةُ الأمة حتى بلغت من الكبرِ عتيا، جربتِ الأمةُ البرامجَ والسياساتِ الأرضيةَ حتى لم يبقى طريقُ من تلكَ الطرقِ إلا ولجت بابهُ ثم اكتوت بنارهِ بما كفاها. وسلكت فجَ التغريبِ حتى أوغلت فيه، ووصلت إلى حد الانصياع لحضارةِ الغربِ وثقافتِه حتى أوصلتها تجاربُ عشراتِ السنين إلى افتضاحِ الفكرِ المتغرب وانكشافِ تهافته. لقد عاشت الأمةُ تغريبا خنق فيها كلَ أصالةَ وهي تلهثُ وراء التشبهِ بالغربِ وتقلدُه وتقتفي أثرهُ فابتعدت عن هويتِها الأصليةَ وهي تدخلُ جحرَ الضب حتى رأيتَ فئاماً من الأمةِ كثير حالُهم كالذي استهوته الشياطينُ في الأرض حيران، له أصحابُ يدعونَه إلى الهدى ائتنا، قل إن هدى اللهِ هو الهدى، وأمرنا لنسلمَ لربِ العالمين. أمةَ الإسلام: إننا لا يمكنُ أن نفهمَ أسبابَ الهزائمَ المتكررة، والانهيارات في بناءِ الأمة واستمراء الهوانِ والاستسلام إلا إذا عدنا إلى عمق الأمةَ، إلى الفكرِ الذي تحملُه، إلى النهجِ الذي تسير عليه، لنرى حين إذٍ أسباباً لا تُنتجُ إلا هذه النتائجَ المريرة، ولنرى مساربَ ومسارات لا تنتهي إلاّ إلى هذه الهاويةِ المريعة. لقد لقيتَ الأمةُ ما لقيت وصليت ما صليت يومَ تعددت مصادرُ التلقي بعد أن كان المصدرُ كتابَ الله:

(كتابُ أنزلَ إليك فلا يكن في صدرك حرجُ منه لتنذرَ به وذكرى للمؤمنين).

(يا أيها الناسُ قد جاءكم برهانُ من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا).

فإذا بالأمةِ تمزجُ بين الوحي وأحكام البشر. إنها أمةُ ذاتُ أهدافٍ وذاتُ رسالةٍ وذاتُ تاريخ، وعلينا نحنُ أبناءَ هذه الأمة أن لا نسمحَ لأحدٍ أن يسلبَنا شخصيتَنا. وأن يمليَ علينا منهجَه وقواعدَه في التفكير، فنحنُ لم نخلق لنجرَ من آذاننا.

ولا لنقولَ لأيِ مخلوقٍ- كائنا من كان- سمعنا وأطعنا، ونتركُ خيرةَ اللهِ لنا ونداءَه إيانا يوم قال:
(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبلَ فتفرقَ بكم عن سبيله).
ولن نستطيع أن نحرر أرضا ما لم نحرر أنفسَنا وأفكرنا.
شعوبُك في شرقِ البلادِ وغربِها.......كأصحابِ كهفٍ في عميقِ سباتِ بأيمانهم نوران، ذكرُ وسنةُ........ فما بالُهم في حالكِ الظلُمات
وصلت الأمةُ إلى ما وصلت إليه يوم انطفأت جذوةُ حب النبي صلى الله عليه وسلم
والتفاني في إتباعِه والذبِ عن سنته، وغابَ ما كان حاضراً لدى أصحابِ رسولِ صلى الله عليه وسلم، يومَ قالَ عمرو ابنَ العاصِ رضي الله عنه:
(واللهِ ما ملئتُ عيني من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم منذُ أسلمت إجلالاً له أن أنظر إليه).
يوم كان كلَ صحابيٍ يصدّرُ حديثَه عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قائلاً بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم. فإذا جذوةَ الحماسِ لدينه صلى الله عليه وسلم تخبُ وإذا الالتزامُ بسنتِه يضعفُ وإذا الغيرةُ على نهجِه تتقاصرُ وتتطامنُ، وإذا في الساحةِ مع النهجِ المحمدي مناهج، ومع الهدي المحمدي طروحاتُ وأفكارُ أُخر. وصلت الأمةُ إلى ما وصلت إليه يومَ تلفتَ فيها ندرتُ العلماء الربانيين، الأمناءِ على الجيل، الأوفياءِ للأمة، الآخذينَ بحجزِها أن تقعَ في النار، أو تتيه في متاهاتِ الظلام. العلماء الذين إستشهدَهم اللهُ على أعظمِ شهادة (شهد اللهُ أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط....)، العلماء الذين هم ورثةُ الأنبياء، ورثوا علمَهم وورثوا دورَهم وورثوا مهمتَهم على الأرض، فأصبح العلماء الربانيون العاملون أعز من الكبريتِ الأحمر، وإذا وجدوا وجدَ في الأمةِ من يرميهِم بالحجارة، يتتبعَهم ويثيرُ الفتنةَ من حولِهم، فئامُ من الشاغبين وعلى من؟
على الدعاةِ الهداة، فئامُ ممن إذا قالوا تسمعُ لقولِهم وإذا رأيتَهم تعجبكَ أجسامُهم، فإذا نظرت إلى أطروحاتِهم فإذا هي مزاحمةُ الدعاة والتشكيكُ في العلماء الهداة. هؤلاء العلماء أندرُ في الأمةِ من الكبريت الأحمر، فإذا وجدوا فينبغي أن يكون مقرُهم سويداءُ القلوبُ وحدق المقل وأن يبوئوا المكانةَ التي بوئهم اللهُ إياها، فتكونوا أعراضُهم مصانةُ، وحرماتُهم محفوظةُ، ومقامُهم أسماء من مقامِ كلِ أمير، وأعلا من كلِ وزير، وأرفعُ من كلِ مسئول. لأن مقامَهم في الأمةِ مقامُ محمدُ صلى الله عليه وسلم فيها، إذ هم ورثتُه وحملةُ رسالتِه والداعونَ بدعوتِه، فمن نوقّر إذا لم نوقِرهم؟ وعلى من نغار إذا لم نغَرعليهم؟ وعن من ننافح إذا لم ننافحِ عنهم؟ ونتولى مسئوليةَ الذبِ عن أعراضِهم وحمايةَ ظهورِهم من خلفِهم، وأن لا يسلموا إلى من أعطوا بسطةً في المقال، أو بسطةً في اليد، أو تمكينا أو سلطانا ليكونَ لهم عليهم قولُ في مقال، أو استطالةُ بكلام، فظلاً عن أن يؤذوا أو يضايقوا، فظلاً عن أن يحجرَ على دعوتِهم أو يضّيقَ على كلمتِهم، أو تصادرَ المهمةُ التي يقومونَ بها في الأمة. إن مقامَ الدعاة ينبغي أن يكونَ محلَ الغيرةَ من كلِ مسلمٍ يؤمنُ برسالةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ويوقّرُ ورثَته ويغارُ على أتباعِ سنتِه وحملةِ رسالتِه، عارٌ على أمةِ محمد صلى الله عليه وسلم أن ترى أممَ الأرضِ توقرُ

كهنتَها ورهبانَها وحاخاماتِها وآياتِها بينما علماء الإسلام تصادرُ الكلمةُ الهادئة والمنطقُ الرشيد والنصحُ لسديد الذي يهدونَه للأمة.
أين معايير المحاكمةَ العادلة لكلام العلماء؟
أين معايير التقويم الحق لمقال المتكلمين؟ آلا إن الغيرةَ على العلماء والغيرةَ على الدعاة ، أعراضُهم، وسمعتُهم، كلمتُهم ودورُهم بالأمة، كلُ ذلك مسئوليةُ كلُ مسلم يقبسُ من نورِهم ويرجعُ إلى علمِهم ويستنيرُ بدلالتِهم. أما يكفي أن نرى الكثرةَ الكاثرةَ من الناس تعيشُ لا تشعروا بأحد، ولا يشعرُ بها احد؟ وأن نرى فئاماً من الناس تعيشُ قَبل عصرِها بمراحل؟ حنى إذا أضاءَ للأمةِ شعلةُ هداية يحملُها داعية كان على الأمة كلِها مسئوليةُ إبقائها مضيئة وحمايتُها أن تنطفئ أو تطفئ. إنا إذا نظرنا إلى ما وصلت إليه الأمة رأينا أن من أسبابِ ذلك انطماسِ هويةِ هذه الأمة، هذه الأمةَ الخالدة المتميزة ذات الأصالةِ والنهجِ المستقيم
فإذا أبنائُها ما بين من وقعَ في براثن التشبه للشرقيين أو الغربيين فأتبعوا سننَ من كان قبلَهم. وبين منهومٍ بلذتِه عاكفٍ على صنم شهوتِه، فهم ممن يعبد الله على حرث.ومنهم من يعيشُ عيشةَ الجاهلية فهو لا يعرفُ من الإسلامِ إلا اسمه، معرضا عن التفقه غافلا عن الوحي، ومنهم من جعل ثقافتَه وقلمَه ولسانتَه وبيانَه قذائفَ يدافعُ بها دينَ الله ويهاجمُ بها طلائعَ الإسلام صباح مساء: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، آلا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون).
ومنهم المتلون حسب منافعِه وأغراضِه:
(وإذا لقوا الذين أمنوا قالوا أمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم)، فهو مع المؤمنين ولي ومع المحبين شجي، ومع العاطلين خلي، لا يستقرُ على حال. اهؤلاء أبناءَ الأمةِ الخالدة، الأمةِ ذات الرسالة؟

لو أسمعوا عمرَ الفاروقَ نسبتَهم..... وأخبروه الرزايا أنكرَ النسبَ
من زمزمٍ قد سقينا الناسَ قاطبةً..... وجيلُنا اليومَ من أعدائه شربا

هذه أسبابُ من أسباب أودت بالأمةِ إلى ما وصلت إليه، وأوصلتها إلى القاعِ الذي سقطت فيه.
وإن من أراد أن يصلحَ هذه الأمة فعليه أن يردَها إلى هدي لا إله إلا الله؛ لا إله إلا الله؛ منهجُ حياة لا إله إلا الله؛ في الحاكمية (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون). لا إله إلا الله؛ في العلم (فاعلم أنه لا إله إلا الله استغفر لذنبك وللمؤمنين). لا إله إلا الله؛ في الولاءِ والبراء (إنما وليكم اللهُ ورسولُه والذين أمنوا). لا إله إلا الله؛ منهجُ حياةٍ مهيمنةٍ على الفكرِ والثقافة، الاقتصادِ والسياسة، السلم والحرب، على كل منحا من مناحي الحياة (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له...).
إنه الحل الإسلاميُ لا غيرُه :

هو الذي يهيئُ الجوَ الإيجابي والبيئةَ المساعدة لتكوين الفردَ المؤمنَ الذي يشري الحياةَ الدنيا بالآخرة ويشري نفسَه ابتغاءَ مرضاة الله، ويوقنُ أن الرزقَ والأجل والحياة والممات بيد اللهِ وحده. إنه الحلُ الإسلاميُ لا غيره :
هو الذي يعد الأمة الإسلاميةَ للجهاد الحق، ويوفر طاقاتِها الماديةِ والبشرية لحرب عدوها، ويجعلها أمةً من فولاذ لا أمةً من ورقٍ يسهلُ اختراقُها بل تمزيقُها.
إنه الحل الإسلاميُ لا غيرُه :
الذي يحررُ الأمةَ من التضليلِ الحزبي، والتخريبِ الفكري والاستبدادِ السياسي والظلم الاجتماعي.
إنه الحلُ الإسلاميُ لا غيرُه :
الذي ينشأ الشعب المتماسك وينشأُ فيه وحدةَ الاتجاه، ووحدة الهدف ووحدةَ الشعور حتى يصبحَ كالجسدِ الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرَ الجسدِ بالسهر والحمى.
إنه الحلُ الإسلاميُ لا غيره :
الذي يزيلُ الهوةَ التي حفرها الاستعمار بين الدول الإسلامية بعضِها وبعض فإذا هي قنابلَ موقوتةٍ تنفجرُ بين فينةٍ وأخرى، هذه الحفر وسعتها القومياتُ العلمانيةُ وعمقتها النعراتُ الجاهلية والأنانياتُ الحاكمة.
إنه الحلُ الإسلاميُ وحدَه :
الذي يجعل الأمة أهلاً لنصرِ الله وإمدادِه، ويجعلُ ملائكةَ السماء في تأييدها وجنودَ الأرض في خدمتِها.
إنه الحل الإسلاميُ كما أنه الحلُ الصحيح فإنه الحل الوحيد وبدونِه ستظلُ الأمةُ تشرقُ وتغربُ بدون جدوى، تخرج من حفرةٍ لتسقط في هاوية، وستهدر الجهود وتبدد الطاقات وتتوالى تترى الهزائمُ والنكبات، أما جربنا الطروحاتِ كلِها شرقيها وغربيها فأفلستَ وجنت على الأمةِ بوارا ؟
أما جربنا التحالفاتِ كلِها أمريكيها وروسيها فكانت عاقبتُ أمرها خسرا ؟
أما بحثنا في زبالاتِ الغربِ ونحاتات الشرق الذهنية عن كل فلسفةٍ وافدةٍ وطروحاتٍ فكريةٍ فلبسناها فلم يكن منها شيءُ على مقاسنا. ونطقنا بها كلِها فلم يستقم منها شيءُ على لسانِنا. وبقي لنا لباسُ التقوى ولباسُ التقوى خير.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:
(يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله حق تقاتِه ولا تموتنا إلا وأنتم مسلمون)
أقول ما تسمعون وأستغفرُ الله لي ولكم.....

الخطبة الثانية:
اللهم لك الحمدُ على كل نعمتٍ أنعمتَ بها علينا في قديم أو حديث، أو سرا أو علانيةً، أو حاضراً أو غائباً، لك الحمدُ بالإسلام ولك الحمدُ بالإيمانِ ولك الحمد بالإيمان ولك الحمدُ بالقرآنِ ولك الحمدُ بالمال والمعافاةِ والصحةِ والأهلِ والولدِ.
اللهم لك الحمدُ حتى ترضى ولك الحمدُ إذا رضيت، اللهم لك الحمدُ حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما تحبُ ربَنا وترضى. اللهم لك الحمدُ كما ينبغي لجلالِ وجهِك

وعظيمِ سلطانِك وأشهدُ أن لا إله ألا اللهَ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدا عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.
اللهم إني أسألك أن تجعلنا جميعا ممن إذ ابتليَ صبر، وإذا أنعمَ عليه شكر، وإذا أذنب استغفر.
أيها الناس:
اتقوا اللهَ حق التقوى، أيها المسلمون، أيها الموحدون، أيها الأخوة المتحابون بجلالِ الله:
ها قد ترحلتَ أيامُ رمضانَ ولياليه، تلك الأيامُ الغر، والليالي الزهر بعد أن تلذذنا بصيامه، وتمتعنا بقيامه، وآنسنا في النفوس بروح العبوديةِ والذكر لله عز وجل.
ثم جاءت أيامُ العيدِ بزهوِها، وبهجتِها، وأنسِها وفرحتِها، فهي تحفةً للصائمين وجائزةٌ للمتعبدين:
(ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون).

أيها الأحباب:
لقد أصبح الطريقُ مسدودا أمام كل الطروحاتِ الأرضية، والأفكارِ القوميةِ العلمانية.
لقد أخذت فرصتها في التطبيق، وأخذت أكثر من فرصتِها من التجارب، ثم ماذا كان عاقبةُ أمرها ؟
لقد كان عاقبةُ أمرها خسرا.
انحصرت القسمةُ وتبين أن لا خيار إلا في الحلِ الإسلامي.
تبين ذلك وأنه لا خيارَ إلا خيارُ الله للأمة. ولا طريق إلا الصراطُ المستقيمُ والذي بينَه محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية.
وأصبح واجبُ المسلمين التعاونَ بين أفرادِهم وجماعاتِهم بين مؤسساتهِم الخاصة ومؤسساتِهم الرسميةَ لتحقيق التدينُ الفردي والتدينُ الجماعي، وتحقيقُ العبوديةَ لله عز وجل، وتحقيق الهيمنة لأحكامه على كلِ مناحي الحياة كلِها بلا استثناءٍ ولا تفصيل. لا بد أن تُنتَجَ لنا التجاربُ السابقةَ تصحيحاً لأسلوبِ طرحِنا ومعالجتِنا.
لا بد أن ينتجَ لنا ذلك اعترافا بالأخطاء ومعالجةً لها بوضوح:
وأن لا تبقى أخطائُنا مدفونةً تحت الرمال محجوبة عن الأعين محجوبة عن الألسن حتى تكشفها لنا الأحداث في أحرج اللحظات.
يجب أن يوصف الدعاة المتحدثون عن الأخطاء بنصح أنهم ناصحون لا مرجفون، وأن يعرفوا بأنهم دعاة إصلاح لا دعاةُ ولا يسمحُ وصفَهم إطلاقا بأنهم دعاة فتنة.
إذا كان لا بد من الاستشهاد بالغرب، إذا كان لا بد من تقليد الغرب، إذا كنا لا زلنا مفتتنين بالغرب فإن الغرب قد زاده قوة وضوح المكاشفة للأخطاء، ولم نسمع أن متحدثا عن الأخطاء في الغرب وصف أنه مرجف، ولا أنه داعية فتنة.
ونحن أهل الإسلام أحق بهذا الخلق وأولى به أن نتكاشف بأخطائنا وأن نتداعى لإصلاحها، وأن نرى أن هذا واجبنا جميعا المتحدثُ عنه محل الحفاوة من الكل.

ينبغي أن نخرج من التجارب السابقة بتصحيح لمسار الفكر:
فيغيب عن الساحة الفكر العبثي والفكر السطحي والفكر القردي المقلد، ننتظر فكرا يعمق الوعي يزيل الضباب والقتامة من حول القضايا فيجليها للعقول ويجليها للبصائر كما هي بلا مغالطة ولا تزييف ولا علو ولا تحيز.
ننتظر فكرا نيرا يرد الأشياء إلى أصولها يربطها بأسبابها البعيدة والعميقة والعديدة ولا يكتفي بما يطفو على السطح.
ننتظر فكرا أصيلا يعرفونا من نحن؟ ما رسالتنا؟ ما دورنا؟ من عدونا؟ حقيقة ماذا نملك وماذا يملك؟
ننتظر فكرا عميقا ينظر إلى الغد البعيد ولا يخطفُ بصره الحاضر القريب، يستفيد من دروس الأمس وآلام اليوم وآمال الغد.
ننتظر فكرا هادفا يوضح لنا الهدف ويرسم لنا الطريق ويضع أيدينا على العقبات والمعوقات.
هذه هي مهمة الفكر، وهذه دوره، وهذا ما يجب أن يقوم به.
ننتظر أن يصح الفكر السكران وأن يستقيم الفكر المعوج، وأن يظهر الفكر الأصيل، ويختبئ ويتوارى ويذهب إلى غير رجعة الفكر الدخيل، الفكر السطحي الفكر الجبان.
لقد خاب ضنهم وطاش سهمهم فماذا بقي لهم؟ ننتظر أن نخرج من التجارب بتصحيح فوري لمسار الاقتصاد :
بعيدا عن محاربة الله ورسوله، فنحن أضعف وأقل وأهون من ذلك، وتبقى سبل الكسب والادخار الشرعي هي الخيار الوحيد لكل من يبغي استثمارا وربحا وكسبا.
ننتظر أن نخرج من التجارب بتصحيح للإعلام:
ليكون منبرا للدعاة الصالحين المصلحين هدفه تعميق أصالة الأمة وتوعيتها بعيدا عن الطرح التافه أو الإلهاء الرخيص.
إعلاما يعيشُ معانةِ الأمة حقيقة ويعالج مشاكلها بأصالة بعيدا عن تمجيد الذوات وترديد الشعارات فللأمة قضيتها ومهمتها ورسالتها التي ينبغي أن يتمثلها إعلامها فينطق بها.
ننتظر أن نخرج من تلك التجارب والدعاة الصادقون الناصحون في المقدمة منا:
كلمتهم عالية صوتهم مسموع نصحهم مستجاب له، ننتظر أن نخرج من هذه التجارب ولنا قدواتنا من العلماء الراسخين في العلم العاملين بعلمِهم ليكونوا محل الحفاوة منا جميعا ومحل القدوة لنا جميعا، ومحل الاحترام والتقدير على كافة الأصعدة.
عار على أجهزة الإعلام صحفا ومجلات ومرئيا ومسموعا أن يكون في الأمة رجال يعملون منذ عقود من السنين عددا، يعملون بصمت وإنهاك لقواهم، يعملون للأمة بتفاني وصدق ونصح ثم نرى تعتيما لدورهم وتجاهلا لوجودهم حتى لا يكادوا يذكروا في أجهزة إعلامنا. فمن يذكر إذا لم يذكر هؤلاء؟
ومن يشكر إذا لم يشكر هؤلاء؟
إلى متى سنظل نتلهى بالتافهين من المغنين والممثلين.
ماذا استفدنا مما قدموا؟ ماذا كان رصيدهم عند الشدائد؟

لقد آن الأوان أن يوضع الرجال في مقاماتهم الصحيحة وأن يوضع كل في رتبته:
(يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلماء درجات).
فلنرفع من رفعه الله ولنضع من وضعه الله.
ننتظر أن نخرج من تلك التجارب بصدق مع الله ليصدقنا الله:
وبغضب لله ليغضب لنا الله، وبنصر لله لينصرنا الله :
(يا أيها الذين أمنوا إن تنصروا الله ينصركم.....).
إن الذين يكرهون ما أنزل الله ينبغي أن يحجب صوتهم عن الأمة وأن تبقى كراهيتَهم مقهورة في صدورهم لا تفوه بها ألسنتهم.
ننتظر أن نخرج من التجارب السابقة بتطبيق حقيقي شامل للدين:
بعيدا عن التطبيق الانتقائي، بعيدا عن التطبيق الجزئي، تطبيقا للدين يهيمن على كل مسارب الحياة ومساراتها وكلياتها وجزئياتها.
فقد تعبت الأمة من أصحاب الطروحات الثورية الملحدة الذين إذا اشتدت بهم الشدائد رفعوا الإسلام شعارا وغرروا بالأمم فانساقت معهم، وبقي التطبيق الحقيقي والتطبيق الأصيل لأهل الإسلام الحق. إن على الأمة أن تذكر نعمة الله عليها أن حل عليها هذا الشهر المبارك وهذا العيد السعيد المجيد ونحن في حال أمن وآمان وسلام وإسلام، أقبل المسلمون على صلاتهم وصيامهم، اكتظت المساجد بجموعهم، وضجت الأجواء بدعائهم، وابتهج الحرم المكي بآلاف الشباب تفور بهم أدواره وتغلي بهم ساحاته من وجوه واعدة نيرة تقدم للدنيا رسالة تقول:
لإن عرف التاريخ أوسا وخزرجا.....فلله أوس قادمون وخزرج
وإن سيوف الغيظ تخفي ورائها.....جموعا إلى الإسلام للحق تخرج

توجه رسالة للدنيا إلى أن شبيبة الأمة قد ثبت لها إفلاس كل خيار إلا الإسلام، فاختارت الإسلام عبودية لله وانقيادا لأمر الله ونصرة لشرع الله وجهادا في سبيل الله.
فهنئا للأمة شبيبتها وشيوخها، وهنئا للأمة صحوتها وعلمائها.والله ربنا المسؤول أن يسدد خطى الأمة على الحق وأن يعصمها من زيغ الشيطان وكيد الكائدين وإرجاف المرجفين، وأن يحول بينهم وبين كل مريد لدعاتها بسوء ومستبطر بهم كيدا.

**** يا أمة الإسلام ****

حياة أوقفت لله

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلمنا الحكمة والقرآن، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وألبسنا لباس التقوى خير لباس.
الحمد لله حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضاه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، لا ربَ غيرُه ولا معبودَ بحقٍ سواه.
و أشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته واهتدى بهداه.
أما بعد أيها الناس اتقوا الله حق التقوى..
أيها المؤمنون بالله ولقائه وبالرسول ورسالاته، أيها الأخوة المتحابون بجلال الله.
إن رسالاتِ اللهِ إلى أهلِ الأرض، والدينَ الذي اختاره اللهُ لهم هو أثمنُ هبةٍ للبشرِ واعظمُ منةٍ عليهم، خيرةُ اللهِ للإنسانِ منهاجَ حياته، وطريقَه الموصلَ إلى جنته، هو النعمةُ التامةُ والفضلُ المبين.
(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً) (المائدة)
أي نعمةٍ أعظمُ و أتمُ من أن تتنزلَ ملائكةُ الله بكلمات الله على رسول الله لتقول للإنسان هذا طريقُك إلى الله.
(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام:
إن هذا العطاءَ الإلهيَ والهبةَ الربانيةَ منةٌ تستشعرُ نفوسُ المؤمنين كِبرَ نعمةِ الله بها عليهم، فتتضاءلُ النفسُ أن تكونَ ثمناً لهذه النعمة.
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):
(ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان –فذكر منهن- وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ 1 أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار).
ولذا حفلت مسيرة المؤمنين في التاريخ بصور من عطاء الحياة بسخاوة نفس ثمنا لهذا الدين.
ثمنا لعطاء الله من الهداية.
ثمنا لنعمة الله بالنور المبين.
أعطيت الحياة بسخاوة نفس يوم كان ثمنها هذه العقيدة وهذه الرسالة وهذه المنة الإلهية، يوم كان ثمنها خيرة الله للإنسان طريق حياته ومنهاجه وثمنها الجنة ورضاء الله.
أستمع إلى سحرة فرعون يتقبلون وعيده وهو يقول:

(فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى)(طـه:71)
فماذا كان الجواب على هذا التهديد ؟
بل كيف استقبل هذا الوعيد وقد وصل فيه فرعون إلى كل ما يستطيعه من تنكيل ؟

أستمع إلى ثبات المؤمن المستشعر عظم المنة بالهداية المنتظر من الله فضلا تحتقر له الحياة كلها.
أستمع إلى جواب السحرة وهم يقدمون للدين أرواحهم بسخاوة نفس:
(قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) (طـه:72)
نعم ما أصر الحياة وما أهون الحياة الدنيا حين تكون ثمنا للإيمان باله عز وجل، وإن عذابها مهما اشتد ونكالها مهما كاد وبطش أيسر من أن يخشاه قلب موصول بالله عز وجل ينتظر ثوابه وينتظر مغفرته وينتظر رضاه وجنته:
(إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) (طـه:73)
أيها الأحباب إنه الإيمان، إنه الإيمان إذا خالطت بشاشتُه القلوب، استحكَم الولاءُ له، وكان العطاءُ للدينِ سخياً، كان العطاءُ للدينِ سخيا غايةَ السخاء، لأنه معاملةٌ مع كريمٍ، وتلقٍ لمننٍ من إله عظيم..

آيها المؤمنون بالله ربا وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبيا، وبرسالته الإسلام دينا.
إذا كانت الحياةُ تقدمُ فداءً للدين، وثمناً للدين فهيَ كذلك تسخرُ لخدمةِ الدين، تسخرُ للعطاءِ للدين، إذا كلُ ما فيها لله، وإذا هيَ حياةُ أوقفت كلُها لله.
يقول نوح وهو يخاطب ربه :(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً) (نوح:5)
إنه الجهدُ الدائمُ الذي لا ينقطعُ ولا يمَلُ، ولا يفترُ ولا ييئسُ أمامَ الأعراضِ، ألفَ سنةٍ إلا خمسين عاما.
(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً)
ثم يقولُ : (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً) (نوح:9)
الله أكبر.
ماذا بقيَ من حياةِ نبيَ اللهِ نوح لم يسخَر لدعوته ولم يبذَل لرسالتِه ؟
الليلُ والنهار، الجهر والإسرار كلُها لله، حياةُ أوقِفَت كلُها لله.

ثم سرح طرفك في مسيرة أنبياء الله ورسله :
لتقف أمام نبي الله يوسف السجين الغريب الطريد الشريد الذي يعاني ألم الغربة وقهر السجن وشجى الفراق وعذاب الظلم، في هذا كله وبين هذا كله في زنزانة السجن يسأله صاحبا السجن عن تعبير الرؤيا .
فلا يدع نبي الله يوسف الفرصة تفلت منه.
لا تنسيه مرارة المعاناة القاسية واجب العمل لله والعطاء لدينه فإذا به يحول السجن إلى مدرسة للدعوة.
ويرى أن كونه سجينا لا يعفيه أبدا من تصحيح الأوضاع الفاسدة والعقائد الفاسدة فإذا به ينادي في السجن:
(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (يوسف:39)
عذاب السجن وألم الغربة وقهر الظلم كل ذلك لم يذهل ولم يدهشه ولم ينسه واجب الدعوة.

لأن العمل للدين رسالة في الحياة لا يمكن التحلل منها بحال.
وهكذا تسير ركاب المؤمنين برسالات الله، لا تدع فرصة للعمل للدين تفلت ولا فرصة للعطاء للدين تضيع.
كل عطاء يقدم مهما كان قليل.
وكل جهد يبذل مهما كان يسيرا.
وكل فرصة تلوح للعمل للدين لا يمكن أن تفلت من يدي مؤمن بالعمل لهذا الدين.

هذه أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ رضي اللهُ عنهما
لما جهزت رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم) و أبا بكرٍ جهازهما للهجرة.
جمعت سفرةَ رسولِ الله (صلى الله عليه وسلم) التي فيها طعامُه، والسقاءَ الذي فيه شرابُه، ثم جاءت لتحملَهما فلم تجد ما تربطُ به السفرةَ والسقاء، فعمدَت إلى نطاقِها فشقته نصفين فربطت بأحدهما السفرةَ وبالأخرِ السقاء.
امرأةٌ تأبى إلا أن تقدم للدين، وتعطيَ للدين ولو كانت لا تملكُ إلا نطاقها فليكن عطاؤُها هذا النطاق، وإذا لم يكن النطاقُ كافيا فليشقَ النطاقُ نصفين.
وترحلت الأيامُ تُعطرُ سني التاريخ بخبرِ أسماء، وتحملُ صفحاتُ التاريخ هذا الخبرَ، ومعهُ تشريفُ أسماء وتلقيبُها بذاتِ النطاقين، إن هذا اللقبَ يعبرُ عن العطاء للدين الذي لا يدعُ فرصةً تفلتَ دون أن يقدَم لدين مهما كان هذا العطاءُ قليلاً فهو الجهدُ وهو الطاقة.
ثم سر قليلا لترى الرجل الكفيف الأعمى عبد الله أبن أم مكتوم رضي الله عنه مؤذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي عذره الله في قرأنه:
لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ)(النور 61).
لم يرى أنه يسعه أن يدع فيها فرصة يخدم فيها الدين تفلت منه، ولتكن هناك في مواقع القتال وقعقعة السيوف وطعن الرماح وإراقة الدماء، ليكن له موقع ثم..
فيصحب كتائب المسلمين ويطلب أن توكل إليه المهمة التي تناسبه وتليق به:
(إني رجل أعمى لا أفر، فادفعوا إلى الراية أمسك بها).
يأبى إلا أن يشارك بنفسه على أي صورة كانت هذه المشاركة ممكنة.
حتى إذا كان يوم القادسية كان هو حامل الراية للمسلمين، الممسك بها أعمى ضرير يرى أن في عماه مؤهل لحمل الراية:
(إني رجل أعمى لا أفر).
وتحمل كتب التاريخ أنباء عبد الله أبن أم مكتوم وأنه كان أحد شهداء القاسية يوم غشيته الرماح فلم تصادف فرارا ولا موليا ولا معطي دبره في قتال.

إن معنى العطاء لهذا الدين كان أمرا تشرب به نفوس الصحابة مذ أن تبسط أيديهم إلى كف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مبايعة على الإسلام.
هذا ضمام أبن ثعلبة رضي الله عنه
يأتي إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقف يسأله عن شهادة لا إله إلا الله.
وأن محمدا رسول الله.

وأقام الصلاة.
وإيتاء الزكاة.
وصوم رمضان.
وحج بيت الله الحرام.
حتى إذا عرفها أمن بها ثم رفع أصابعه الخمس قائلا:
(يا رسول الله والله لا أزيد على هذه ولا أنقص).
لكنه لا يرى ولا يُرى أن العمل للدين داخل في ما تحلل منه.
ولكنه رآه داخل في وجب عليه فإذا به ينقلب إلى قومه داعيا إلى الله يقول لهم:
(يا قوم بئست اللات، بئست العزى).
فيضل بين ظهرانيهم حتى لا يبقى بيت من بيوتهم إلا دخله الإسلام، فيقول عمر رضي الله عنه:
(ما رأينا قادما على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان أيمن من ضمام أبن ثعلبه).

إن وضوح هذا المعنى للصحابة هو الذي دفع كتائبهم فانداحت بها الأرض فإذا مائة سنة تشهد أعظم إنجاز يتحقق على الأرض يوم طوي بساط المشرق إلى الصين، وبساط المغرب إلى المحيط الأطلسي تفتحه كتائب الصحابة والتابعين.
ما كان هذا الإنجاز ليتحقق إلا على أيدي الرجال الذين يعلنون في كل موقعة قائلين:
(أن الله إبتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد).
لم يكن هذا الإنجاز ليتحقق إلا على أيدي رجا أوقفت حياتهم كلها لله.
أمة الإسلام، أتباع محمد (صلى الله عليه وسلم):
إن هذا المعنى العظيم معنى العطاء للدين والبذل له وتسخير الحياة من أجله حتى إذا الحياةُ كلُها، بليلِها ونهارِها، وإذا النفسُ بمشاعِرها ووجدانها وبكلِ طاقاتِها سخرةٌ لهذا الدين.
هذا المعنى توارى أو خفتَ في نفوسِ كثيرٍ من المسلمين، بل ضعف في نفوس الشباب المتدين ذاته.
إنا نقلب الطرفَ فتقرُ العينُ وتبتهجُ النفسُ، برُؤيةِ الوجوه العريضة الملحية للشباب الواعد من شباب الصحوة.
إذ هيَ جموعٌ تضيقُ بها المحافل.
وتكتظ بها المساجد، وتتزين بها وتتزي ردهات الجامعات.
جموع أصبحت تواري التائهين، وتحجب الرؤيا عن الشاردين، فإذا هم الواجهة كثرة ووجودا وحضورا.
لكن هل يتناسبُ هذا العدد مع العطاء المنتظر؟
إن عدد شباب الصحوة الدافق المائج لا يتناسب مع ما ينتظر من عطاء.
لو أن كل نفس أشربت هذا المعنى وسخرت للدين هذا التسخير.
إن هذا المعنى أمر ينبغي أن يذكى في القلوب ويوقد في النفوس وتشحذ له العزائم وتسخر له الطاقات.

يبدأ من توتر القلب لهذا الدين.
توتر القلب وانفعاله وتوهج العاطفة وتلظيها ابتهاجا لكل خطوة إلى الأمام يتقدمها أهل الخير.
ويعتصر ألما وحرقة يوم يرى أي صورة من صور حجب الدين أو المضايقة لأهله أو المزاحمة لدعاته أو التضييق على الكلمة الهادفة أو حجب الكلمة الناصحة.
يتلظى القلب وتشتعل النفس ويلتهب الوجدان تفاعلا مع مصاب الأمة في الكلمة الهادئة يوم يراد لها الحجاب والإطفاء.
فما مدى التفاعل مع الكلمة والدعوة والدعاة والغيرة لهم؟
نحن والله نعيش منة الله علينا بالهداية بدعوة دعاة مخلصين سخروا ليلهم ونهارهم وزاحموا ساعات حياتهم عطاء للدين، فما مدى امتناننا لله بهذه النعمة ؟
ثم شكرنا لمن أهدانا الهداية وبذل الكلمة والوقت والنفس دعوة وجهادا ومجاهدة.
ما حال القلوب، ما حال النفوس تعاطفا مع الكلمة عندما يراد لها أن تطفأ أو تخبو ؟
إن الغيرة على رسالة الله وعلى أنبياء الله منسحبة إلى ورثة أنبياء الله الذين يرثون عن الأنبياء علمهم ودورهم في الأمة، فهل أوقد في القلوب الحماس والتعاطف والتواصل والتوهج مع الدعوة والدعاة ؟
والتوتر المنفعل مع قضايا الدعوة وآلام الدعاة؟
إن القلوب ينبغي أن لا تشح بمشاعرها.
والعيون لا تبخل بدموعها وأن تقدّر أن مصابها في الدعاة وكلمتهم مصاب لقداسة الأمة في الصميم.
أيها الأحباب:
أين العطاءُ للدين في حياتِنا ؟
أين العطاء للدين، هل يعيشُ كلُ منا همَ العطاءِ للدين فإذا به يحاول جهده أن يكون مؤثرا على قطاعا يقل أو يكثر يصغر أو يكبر في المجتمع ؟
هل يسألُ كلُ منا نفسَهُ إذا غربَت شمسُ كلِ يوم، هل غرَبت وقد قدم لدينه شيئاً في ذلك اليوم ؟
هل العطاءُ للدين همُ جاثمُ في القلوب يحركُها إلا أن تعطي، يبعثُها إلا أن تُقدم ؟
لنتساءل بالتفصيل:
هل اشتريت كتابا فأبى عليك حس الدعوة إلا أن تشتري بدل النسخة نسخا لنفسك منها واحدة وللدعوة أخر؟
هل استمعت إلى شريط فلما أعجبك حملك حب الهداية إلى أن تهديه إلى غيرك ؟
هل وجدت نفسك تحف وترف لجمع التبرعات لمساعدة الأنشطة الإسلامية والجهد الهادف والدعوة الخيرة ؟
هل تفكرت في نفسك فرأيت أن من الواجب عليك أن تكفي الأمة مجتمعك، فإن عجزت فحيك، فإن قصرت فبيتك ؟

هل وجدت أنه ينبغي أن يكون لك حضور لا يفقد في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟
فاتضحت لك المشاركة والوجود.

أيها الأحباب:
إن الطاقة موجودة تحتاج إلى توظيف.
إن الطاقات كامنة تحتاج إلى تشغيل.
وصدق النية أيضا موجود، ولكن نحتاج إلى عزيمة وهمل يخرج للوجود.
إن أعظم مؤسسة نشر قد تنشر من كتيب أو كتاب مائة ألغ نسخة وإن شئت فقل مائتا ألف..
لكن لو قام كل متدين يعلم أنه يتحمل مسؤولية بلاغ رسالات الله بنشر الكتاب الموجه والشريط الهادف فأي طاقة نملكها في النشر ؟ وأي جهد يقدم للدعوة من خلال ذلك ؟
إننا سنجد أنفسنا أمام عملية نشر واسعة لا نظير لها توقظ الأمة من رقاد تفيقها من غفلة.
بل تبعثها من ممات وتحركها من هموده..

أيها الأحباب:
إن واجبنا ن نتفقد أنفسنا ما مدى العزيمة على العطاء في نفوسنا ؟
ما مقدار الهم للعمل للدين في قلوبنا ؟
ثم نحول ذلك إلى برنامج عملي في حياتنا.
برنامج يومي يعيشه كل منا في يومه وهو أن يكون ذا عطاء لهذا الدين.
لقد مرِضَ المسلمون اليومَ بالتدينِ السلبيِ الجامدِ الهامد الذي لا يقدمُ ولا ينفعُ ولا يحرك،
إننا اليوم أمام خير لا خيار لنا غيره؛
وهو أن نقدم لديننا وأن نعيش له حتى نلقى الله وقد قدمنا شيئا لهذا الدين.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.
.....
الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه.
وأشهد أن لا إله لا الله تعظيما لشأنه وأشهد أن محمدا عبده ورسول الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه وسلم تسليما كثيرا.
أما بعد أيها الناس اتقوا الله حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى وأعلموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فقال جل وعلا:
(إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (الأحزاب:56).
اللهم صلي وسلم وبارك أطيب وأزكي صلاة وبركة على نبينا وأمامنا وحبيبنا وقدوتنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وخلفائه الراشدين وسائر الصحابة أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أرضى عن أصحاب نبيك وأرضهم، اللهم أسلك بنا طريقتهم و احشرنا في زمرتهم.
الله العن من لعنهم وعادي من عادهم وخص بذلك الرافضة أعداء أصحاب نبيك.
اللهم عليك بالرافضة فإنهم لا يعجزونك، اللهم عليك بإخوان القردة والخنازير.
اللهم عليك باليهود، اللهم أقر أعين المسلمين بفتح بيت المقدس وإقامة دولة إسلامية لا اشتراكية ولا علمانية.
اللهم عليك بإخوان القردة والخنازير فإنهم لا يعجزونك.
اللهم عليك بهم، الهم عليك بهم، اللهم عليك بهم.
اللهم أبر لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويأمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر وتقال فيه كلمة الحق لا يخشى قائلها في الله لومة لائم.
وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين.
ربنا آتنا في الدنيا حسن وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.
ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

**** حياة أوقفت لله ****

رسالة إلى رياضي

**** رسالة إلى رياضي ****